

الدكتور عبد السلام المسدي

فتنة الكلمات

مسن يوسف المبروكي

نشر وتوزيع

مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله - تونس

عبد السلام المسدي

عبد السلام المسدي

فتنة الكلمات



مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع - تونس



إِلَى اللِّغَةِ الَّتِي سَمَّيْتُهَا لُغَتِي
وَكُنْتُ تَعْرِفُ أَنَّهَا لُغَتِي
وَقُلْتُ عَنْهَا إِنَّهَا لُغَتِي
وَهِيَ الَّتِي نَقُولُ الْيَوْمَ إِنَّهَا لُغَتِي

رِسَالَةٌ

أَيَّتْهَا اللَّغَةُ .

سَأَكُونُ رَفِيقًا بِكَ لِأَنِّي رَفِيقٌ بِنَفْسِي .
لَنْ أَفْشِيَ مِنْ أَسْرَارِكَ إِلَّا جَمِيلَ أَسْرَارِكَ .
لَنْ أَصِفَ ازْدَوَاجَكَ بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ .
سَأَقُولُ الْمَجَازَ .

وَسَأَسْكُتُ عَنْ الْحَقِيقَةِ .
فَفِي الْحَقِيقَةِ أَسْرَارٌ .
وَلَنْ أَفْتَحَ دِيْوَانَ الْأَسْرَارِ .
فَسِرِّكَ سِرِّي .

وَأَنَا الْمُصَابُ بِكَ يَوْمَ حَلِّ بِنَا وَبَاءِ الْحَرْفِ . يَوْمَ التَّهَمَتُنَا
الْكَلِمَاتُ .

فَاَحْمَدُ لِلَّهِ أَنْ أَنْجَانَا - أَنَا وَأَنْتِ - مِنَ الطَّاعُونَ .

أَيُّهَا الْكَلِمَاتُ

جائني هاتفٌ من أقاصي الفجر فأَنطَقَني بقولٍ و أوصاني أن
أَقْرَأَكَ إِيَّاهُ :

سَأَقْصُّ عَلَيْكَ قِصَّتِي بِمَا لَمْ تَعْلَمِيهِ مِنْ قِصَّتِي . وَ سَأَقْصُّ عَلَيْكَ فِيهَا
مَا لَمْ يَعْلَمْهُ قَبْلَكَ عَالِمٌ . وَ سَأَقْضِي سِتَّةَ أَيَّامٍ أَقْصَّ فِيهَا عَلَيْكَ صَبَاحَ
مَسَاءٍ لَا أَنْقَطِعَ عَنِ الْقِصِّ إِلَّا سَاعَةَ اللَّيْلِ . وَ بَعْدَهَا سَيَكُونُ كَلَامٌ .
وَ سَتَكُونُ نَشْأَةٌ أُخْرَى . وَ سَيَكُونُ مَا لَمْ يَكُنْ .

فَاتِمَةُ

في البدء كان الصمتُ . وقبل الصمتِ الخلاءُ . فلمَ الكلامُ .
وكم من لفظة قُتِلَتْ . وكم من سكتة أنقَذَتْ . وأصحاب اللسان
يتكلمون فيندمون . وأصحاب العيِّ يحلمون بليلة القدر عسى أن
يُوهبوا كلمات يبنات .

والأزهارُ تتناجى . والنملُ يتحدث فيفشي الأسرار . والأبكمُ
حاسدٌ ومحسودٌ . يعرف أنه يُحِبُّ ويعشَقُ . ولا ندري كيف يحبُّ
ويعشَقُ . ويعرف أننا نتكلم . وهو على يقين أننا لا نعرف كيف نُحِبُّ
ولا كيف نَعشَقُ .

والعُشاقُ درجاتٌ . والعشَقُ مقاماتٌ . والوفاءُ مراتبٌ .
وأقربُ العاشقين إلى عرش السماء من عَشِقِ اللِّغَةِ . وأولاهم بجنة الخلد
من عَشِقِ حَتَّى فَنِيَّ وحلَّ في اللغة حُلولا . فاتحدت به . واتحد بها .

إِشَارَةٌ

أَيَّتْهَا اللَّغَةُ . أَيَا فُصْحَايَ . يَا شَاعِرِي .

عندما التقينا . ودقّت أجراسُ السماء . بأنك قَدَرِي . كان اللَّحَافُ
يغطي أشعارك . والبرقُ يُسْتَرُّ وَجَنَاتِكَ . أَحَبِّتُكَ كَمَا أَنْتَ . ثم
جئتني إلى حيث أنا . وسألتني خلعَ النَّقَابِ . وخلعته . فأحببتُ عُرِّيَ
الكلمات . وانكشفَ الحروف . وفصاحةَ الحركات . ثم غابت
الأسبابُ . وانقطعَ البيانُ . وساد الغموضُ . حتى رجعتُ تبحثين عن
تأويلِ الكلام . ارتفعَ الحجابُ . وانكشفت الأشعارُ . وتعرّى الجيدُ .
وبأنَّ الألهالَ وضاحاً مُشْرِقاً . وقلت . أيا ناطقي . حلّتْ بالكلمات
حساسيةٌ فَأَضَتْ بها جلدتي . فجلّوتُ بعضَ الحروف . ووضعتُ عليها
حركاتها . دَقَّ النذيرُ في خاطري : هل زالَ البرقُ أم ضاقَ اللَّحَافُ .
نظرتُ في عينيك . فأحسستُ بهمسةً تقول : توارت الحقيقةُ . وظهر
المجازُ . فسقطَ القناعُ .

حَسَبْتُكَ لُغَتِي . لساني وجنانِي . فما كنتِ إلّا لهجتي . ولا
يعرفُ اضدادَ غيرِي . كلَّ اللّغاتِ سَوَاسِيَةٍ .

بَيَانٌ

أَيْتِهَا اللُّغَةُ : أَرَاكَ أَمَامِي نَصًّا . وَ أَرَاكَ قَصِيدَةً . فَاتَذَكَّرَ الْحَسَنَاءَ
أَتَقَصَّى جَمَاهَا . فَأَدْرَكُهُ وَ أَدْرَكُهَا . وَ لَا شَيْءَ يَفْرُقُ بَيْنَهَا فِي نَاطِرِي وَ بَيْنَ
جَمَاهَا . وَ أَتَأَمَّلُ شَأْنَكَ فَيَأْخُذُنِي الضَّلَالُ وَ وَجْهِي حَائِلٌ . مَنْ أَنْتِ وَ فِيمَ
جَمَالِكَ .

لِنَصِّ تَعَاقُبٍ وَ اسْتِبَاعٍ . تَتَوَالَى أَجْزَاؤُهُ كَتَوَالِي دَقَّاتِ السَّاعَةِ عَلَى
الْجِدَارِ . وَ الْقَصِيدَةُ تَدْرَجُ وَ اسْتِكْمَالٌ . يَنْشِي فِيهَا الْوَقْعُ عَلَى الْوَقْعِ
كَانْتِئَاءِ أَنْتِ الْقَلْبِ . وَ يَتَرَاوَحُ بَيْنَ مَفَاصِلِهَا نَبْضٌ كَتَوَالِي خَفَقَاتِ
الدَّمِّ وَ هِيَ تَمُورُ بَيْنَ ضَخٍّ وَ امْتِصَاصٍ .

إِذَا تَعَلَّقْتُ بِجَمَالِ الْكَائِنَاتِ رَأَيْتُ فِيهِ بَعْضًا مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِذَا تَأَمَّلْتُهُ
رَأَيْتُهُ صُورَةً كَامِلَةً مِمَّا فِي نَفْسِي . أَهَيْمُ بِالْكَائِنِ الْجَمِيلِ لِأَنِّي أَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى
نَفْسِي . فَأَهَيْمُ بِهِ عَلَى قَدَرِ هِيَامِي بِنَفْسِي .

أَمَّا أَنْتِ أَيْتِهَا اللُّغَةُ فَأَجْزَاؤُكَ صَنِيعَتِي . أَرَاكَ مِنِّْي فَأَعْجَبُ مِمَّا
صَنَعْتَ بِكَ . عَجَبِي أَنِّي أَقْتَنَصُ أَسْرَارَكَ . وَ أَنِّي بِأَسْرَارِكَ أَقْتَنَصُ النَّاسَ .
فَأَجْرُهُمْ إِلَى مَمْلَكَتِكَ . فَلَا أَبَالِي أَنْ نَسُوءَا أَنِّي الْمُسْتَضِيفُ لَهُمْ

عندك . وَاسْعَدُ . أَنْ تَرْكُونِي وَهَامُوا بِكَ . كَذَا شَأْنِي مَعَكَ . وَ عَلَى
غَيْرِ شَأْنِكَ شَأْنِي مَعَ الْحَسَنَاءِ لَا يُمِيتُ سُوءِدَاءَ غَيْرَتِي قَاتِلٌ . فَهَلْ أَنْتِ
خَادِعَتِي . أَمْ أَنَا السَّيِّدُ . أَمْ تُرَانِي كَمَلِكٍ اعْتَصَمْتُ بِهِ سَبِيَّةٌ فَأَجَارَهَا
صُبْحًا وَكَمْ يُمَسُّ إِلَّا وَهُوَ أَسِيرُهَا .

جَمَلْنَا إِذَا أَقْرَلْنَا النَّاسَ بِهِ . فَأَسْلَمُوا إِلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ . وَ جَمَالَ اللُّغَةُ
مِنْ إِيْمَانِهِمْ أَنَّ لَنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا . وَ أَنْ طَرِيقَنَا إِلَيْهِمْ فِيهِ طَرِيقُ اللُّغَةِ . بِهَا
نَنْقُذُ إِلَى خَلَجَاتِ قُلُوبِهِمْ . وَ بِهَا نَسْتَوِي عَلَى مَرَائِجِ عَقُولِهِمْ . وَ بِهَا
نُروِّحُ عَلَيْهِمْ وَ نَغْدُو .

جَمَالُ الْكَائِنَاتِ كُلِّ إِذَا جَزَّأَتْهُ أَفْسَدَتْ عَلَى نَفْسِكَ مَا كُنْتَ
مُطْمَئِنًّا إِلَيْهِ . وَ عَكَّرَتْ صَفْوَةَ اللَّذَّةِ الَّتِي كُنْتَ تَرْتَشِفُ . وَ جَمَالَ اللُّغَةُ
كَلِمًا جُسْتُ بَيْنَ أَجْزَائِهِ اَزْدَدَتْ بِالْكَلِّ افْتِتَانًا . وَ اَزْدَدَتْ لِلصُّورَةِ التَّامَّةِ
إِجْلَالًا .

أَيْتِهَا اللُّغَةُ :

هَلْ تَأْذَنِينَ بِإِفْشَاءِ سِرٍّ مِنْ أَسْرَارِكَ .
يَوْمًا رَكِبْتُ بِكَ قَوْلًا . فَانْسَاقَ لِي الطَّيْشُ بِالْأَلْفَاظِ . فَلَمْ أُدْرِ مَا
كُنْتُ أَعْنِيهِ . وَآمَعَنْتُ . فَتَزَيَّنْتُ صُورَةً . لَمْ أَفْهَمْ لَهَا مَعْنَى . رَدَدْتُ
الْقَوْلَ فَاسْتَطْبَعْتُهُ وَعَاوَدْتُ . فَانْثَالَ فَيْضٌ مِنَ الدَّلَالَاتِ . وَ أَشْعَتْ
فَقَبْلُوا . وَ اسْتَرَا حُوا . ثُمَّ سَلَكَوا فِي النُّشُوءِ كُلِّ مَسْلَكٍ . فَأَغْرَانِي

عَبَثَ الْوَلِيدُ . فَظَلَّتْ مَعِيَ زَمَنًا . وَأَرَدْتُ تَوْبَةً . وَاسْتَغْفَرْتُ
لَدَيْكَ . وَهَمَمْتُ أَنْ أُعْلِنَ الذَّنْبَ . وَأَنْ أَصْعَدَ عَلَى مِنْبَرِ الْاعْتِرَافِ .
أَطْهَرَ النَّفْسِ مِنْ أَعْلَاقِهَا . وَأَغْسِلُ بِالْبُوحِ إِثْمًا ظَلَمْتُكَ بِهِ . وَأَنَا بَيْنَ
عِزِّمِ وَإِنْشَاءِ سَمْعَتِكَ وَسَمْعَتِ مَنْ حَوْلَكَ تُهَاتِفِينَ ، وَيَهَاتِفُونَ :
لَيْسَ مِنْ عَبَثٍ مَا صَنَعْتَ . إِنَّمَا الْعَبَثُ مَا سَتَصْنَعُ . فَلَا تُكَاِبِرُ .
فَلَقَدْ نَطَقْتُ عَلَى لِسَانِكَ اللَّغَةَ . أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ وَاحِدًا مِنْ جُنُودِهَا . وَهُمْ
نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ قَالُوا آمَنَّا . فَمَا هُمْ بِمُلْحِدِينَ . فَلَا تَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ طَيْفِ
الْمُبِّ بِكَ .

وَمِنْ يَوْمِهَا . تَزَيَّنْتُ لِي فَتْنَةُ الْكَلِمَاتِ .

خطاب

إليك أيا سيدي أنا أتحدثُ . إليك أظف اللفظ عريسا مُحَضَّبًا .
إليك أنا أتحدثُ . حاضراً . أتحدثُ . غائباً . أتحدثُ . الكونُ ملءُ
يَدَي . أتحدثُ . أوقفتُ يوماً ناظري . وأمسكتُ عن الحديثِ . وأعلنتُ
عن حفلتي . ومراسمي . أستقبلُ الناسَ لولائي . وأشعلتُ
الشموعَ . وأوقدتُ العطورَ . ورأيتُني أتحدثُ . إليك أيا سيدي أنا
أتحدثُ . حاضراً أتحدثُ . غائباً أتحدثُ . أفترشُ الزرَّابي . والموائد .
وأرُشُ رذاذَ الفوائحِ . أتحدثُ . وأدقُّ على الجرسِ القويِّ . مُؤدِّناً . أنَّ
الضيوفَ . كالقادمينَ . يتزيّنونَ . ويُفاتحونَ . مُهلِّلينَ . يباركونَ .
جاؤوا إلى حفلةِ الإقبالِ . جاؤوا وفي يدهمُ . كهديّةِ الأعيادِ .
فيضُ من الأزهارِ . وتساءلوا . أينَ الأنيسُ . وأينَ لحنُ
غنائنا . وتقدّمتُ الخطى . متهادياً . أتحدثُ . ويدي تُصافحُ . والأذنُ
تَهْمِسُ . والشفاهُ على الصدى . واللحنُ سكرانٌ يُغني . وأنا الذي .
إليك . أيا سيدي . أتحدثُ . والقادمونَ تكاثروا . والشاهدونَ على
الأرائكِ . أتحدثُ . وطاف بالجمعِ السكونُ . وخرج النادلُ . ففككتُ

مِنْ يَدِهِ الْأَطْبَاقَ . وَقُلْتُ . أَنَا أَتَقَدَّمُ . وَرَأَيْتُنِي . أَتَحَدِّثُ . فَوَزَعْتُ
 الْعَقُودَ . وَأَسْدَلْتُ الْفَوَاكِهَ . وَصَحْتُ بِالْوَاقِفِينَ . دُونَكُمْ أَتَحَدِّثُ .
 فَتَخَالَطُوا . وَتَهَامَسُوا . وَقَالَ قَائِلُهُمْ . هِيَ لَيْلَتُهُ الَّتِي . عَنْ فَجْرِهَا يَتَحَدَّثُ .
 عَنْ نَوْرِهَا . يَتَحَدَّثُ . هَازِي لَيْلَتُهُ الَّتِي . نَحْنُ الشُّهُودُ . وَعَقْدُهَا
 يَتَوَاتَرُ . لَا تَنْثُرُوهُ . وَجُمَانُهُ الْمَصْقُولُ . كَمُرْجَانٍ بِحَرٍ . لَوْلُؤُهُ
 الْمَحَارُ . وَفِيضُهُ لَا يَنْضُبُ . فَتَنَاعَمُوا . وَتَهَلَّلُوا . وَسَمِعْتُنِي أَتَحَدِّثُ .
 حَتَّى إِذَا طَافَ بِالْأَلْقِ النَّهْيُ . جَاءَ الْمَلَائِكُ . وَانْتَشَرَ الْبَيَاضُ . وَسَطَعَ
 النُّورُ . وَوَجَدْتُنِي أَتَحَدِّثُ . وَامْتَدَّتِ الْأَيْدِي . وَتَهَاطَلَتِ الْأَكْفُ . وَقُلْتُ .
 أَنَا أَتَحَدِّثُ . إِلَيْكَ أَيَا سَيِّدِي أَنَا أَتَحَدِّثُ . وَأَسْلَمَتِ النَّفُوسُ رَحِيقَهَا .
 وَطَافَ بِالْكَوْنِ الْخُلُودُ . وَتَشَقَّقَتْ فَوْقِي السَّمَاءُ . وَاصْغَدَتْ نَحْوِ
 الْمَعَارِجِ . فِي لَيْلَتِي أَتَحَدِّثُ وَوَجَدْتُنِي . كَمَنْ هَفَا . وَلَطِيفُهُ . يَتَحَدَّثُ .
 وَوَجَدْتُنِي . بَيْنَ الْخَلَائِلِ . أَسْتَرِقُ الْوَفَاءَ . وَأَنْسَلُ . وَالْقَلْبُ
 وَاجِفٌ وَوَجَدْتُنِي . أَتَذَكَّرُ . طَوْلَ الْخُطَى . عَرَضَ الْفُؤَادِ . إِلَيْكَ . أَيَا
 سَيِّدِي . أَتَحَدِّثُ .

صَوْتٌ

هل تَذْكُرُ يا هذا . ما أنتَ إلا يَتِيمُ العَقلِ . شَقِيٌّ بِحَسِّهِ . هَلَاءُ
ذَكَرْتَ يَوْمَ كَانَ أَوَّلُ مَوَاعِيدِ الْأنسِ . سَاعَةً طَفَحَ الْبَرِيقُ فِي هَدوءِ
السَّاكِنِينَ . فَقَالَتْ . أَلَا تَرَ أَنَا قَدْ سَوَّيْنَا لَأَنفُسِنَا صُورًا تُفَارِقُ الْحَسَّ
وَتَتَوَسَّلُ بِالسَّمَاءِ . أَلَا تَذَكَّرُ كَيْفَ اعْتَصَرَ كَلَامُهَا فِي نَفْسِكَ رَحِيقًا .
وَانْقَبَضَ قَلْبُكَ انْقِبَاضَةً . وَلَمْ تُخَفِ عَلَيْهَا شَيْئًا . قُلْتَ . الْوَمِضَةُ حَارِقَةٌ .
وَالْحَسُّ شَفَافٌ . وَالتَّبَاهَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ . فَكَيْفَ جَاءَتْكَ وَلَمْ تَجْنِئَنِي . أَمْ
اسْتَرَقْتَ سَمْعًا . وَقَبَضْتَ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ .

وَمَا زَالَ الْكَلَامُ بِكَ . وَمَا زِلْتَ بِهِ . وَلَمْ يَنْفَكْ الشُّكُّ يَرْتَادُكَ . حَتَّى
كَانَ الَّذِي كَانَ . فِي آخِرِ مَا كَانَ . فَأَيَقَنْتَ أَنَّهَا قَدْ سَوَّيْتُ رُوحًا مِنْ غَيْرِ
أَرْوَاحِ الْكَائِنِينَ .

أَيَّتَهَا اللَّغَةُ . مِنْكَ الشَّعْرُ . وَأَنَا صَائِغُكَ .
فَلَنُكْتُبُ .

أَيَّتَهَا اللَّغَةُ . لَا أَقْدِرُ أَنْ أَرَاكَ عَلَى غَيْرِ مَا كُنْتَ أَرَاكَ عَلَيْهِ . لَا
أَقْدِرُ . لَا أَقْدِرُ .

و من أقاصي المفازات . حيث أذنَ للغة أن تتخلّق في تجاعيد التربة
الصفراء جاءني رسولُها . فتمثّل لي جنّة تقول الشعر . وتُلهمني أن
أقول الشعر . فتقاضينا . وتلونا تساييح اللفظ . ولم تنفك تُراودني على
قوله . وأنا كالحرّون . وكان الإذعانُ أشقّ عليّ من قلع الأضراس
الحية . حتّى ارتاض بي الألم . فنمتُ .

ثم تمايلتُ ثملاً على السرير . و الفضاء من حولي فسيحٌ بظلمة
أحبّها . تمايلتُ . وألقيتُ بذراعي . وكانت مسافةٌ
تفصلُني . فمددتُ . وتحسّستُ . واستنشقتُ أعلى الكتف . و كان بلا
غطاء فغطيتُهُ . وقفلتُ نائماً . ودبّ نداءٌ . فكتمتُ صوته . وتسَلّلتُ إلى
فضاء الظلمة . تاركاً ما تركتُ . الربّي متفضّة . واللون ساطعٌ .
السّنمُ على الربّي يتشامخ زهوا بحمرة تكاد تتكلّم . رمالٌ ذهبيّة
تتجاعد . ولا تَقْرُ على موج . مدّها إلى الهضاب . وارتدادها إلى النهر
يفورُ . وبينهما رحلةٌ تشدُّ الأنفاس . كأنفاسٍ غوّاصٍ إلى أعماق
اللالئ . إذا أطال الصبرُ تنامى محارهُ . واشتدتْ دانتُهُ .
وقالت . دُوني مَشارفُ الغرق .

و تحرّك النائمُ . حالماً . انفضّتْ سدائِلُهُ . يحركُ الخمائلَ من
على الأكتاف . والجيدُ كأنه يقفزُ . ملأعبا من يرقبُ . وتسَلّلتُ
أصابعُهُ وهي نائمةٌ إلى مفرّق الجبين . وسرّحتِ الأشعار . ثم قدّفتُ بها

على البساط . و ابتسمت . فأيقظها ابتسامها . يقظة استدارت بها الكتف .
وارتخت الأطراف . كأنها الشمس بازغة . والجسد الجني كالعاري .
يستقي شعاعها على رمل فضي . ثم اعتدلت الهضاب . وأومات
تلالها . و انفسح الموج . واقتربت المسافات . واستوت الأطراف
ذات اليمين تتكاسل في رفق يتأذى به فاقد الصبر . وغمرت الجنية
وكانها اللغة . ومدت . فظننتها قادمة . فخرجت على الجانب
الأيمن . فحاضتها . ومددت إطلالة . وقاربت أنفاسي ساطع
الأنوار . فشمنت وهجا خلته الكبريت يصاعد مدفوعا بشذا
الإصباح .

عدت أرافق . فانتدى ما اشتد . ولان اللحظ حتى رق فارتنى
الزهو . وهتف الميل . و خلت أني أقول الشعر . و راحت أصابعي
ترسم الحروف . تمرر الأنامل على ما انكشف من الكلمات . فكأنها بكل
لمسة تنفوه . وبكل رعشة تنبس بأوتار صوت بليغ يفصح بلا
مجاز .

وزاغت اللغة . وأنشد النهر خريرا الأحن . تسمع الصوت ولا
تراها .

و تمايل القد على البساط تقول إنه يمشي الخطى ولا
يتحرك .

و ظننتُ أنَّ ما باللغة بي .

فأُضرمْتُ المِشيمَ . وفاحَ لِهَيْبُهُ .

وقلتُ . صَنَعْتُهَا .

فانْتَفَضَتِ الكَلِمَاتُ . وَارْتَدَّتْ . وَخَرَجَتْ هَارِبَةً . ثم انْفَلَتَتْ

كَأَنَّهَا السَّهْمُ وَهِيَ تَقُولُ إِنِّي أَثَارُ .

فلم أَجِبْ .

ولكنني أَفَقْتُ .

فلم أَجِدْ شِعْرًا .

نَفَقَم

أيتها الفصحى .

مَنْ شَقَّ هَضَابَكَ . وَتَسَلَّقَ جِبَالَكَ .

مَنْ أَلَانَ صَخْرَكَ . وَثَقَّفَ أَشْجَارَكَ .

مَنْ فَجَّرَ عَيُونَكَ . وَأَسَالَ أَنْهَارَكَ . وَسَوَّى بِهِجَتَكَ .

مَنْ أَغْرَاكَ بِنَفْسِكَ فَأَخَذَكَ التَّيُّهُ حَتَّى عُدْتَ إِلَيْهِ تَشْتَكِيَنَّ لَحْنَ

العابثِينَ .

قالت :

ليس في الكون مخلوقٌ إذا ادَّخَرْتَهُ دَوَى . وإذا أَخَذْتَ مِنْهُ زَكَا . وإذا

مَضَى عَلَيْهِ الْحَدَثَانِ نَمَا . وإذا أَفْنَيْتَهُ انْبَعَثَ .

إِلَّا أَنَا .

أَنَا اللَّغَةُ .

قال . فلن تَخْرُجِي وَإِنْ قَضَيْتِ عَمْرًا وَعَمْرًا عَنْ فَلَكَي . يَا مَنْ

دَخَلَتْ حَرَّةٌ إِلَى فَلَكَي . طَائِعَةٌ سَائِغَةٌ لَنْ تَخْرُجِي .

قالت :

إِلَيْكَ أَسْلَمْتُ نَفْسِي . يَأْمَنُ أَخْضَبْتَنِي بِأَجْنَةِ الْمُعَانِي . يَا مَنْ

حَمَلْتَنِي مِنَ الدَّلَالَاتِ مَا لَمْ أَحْمِلْ .
أَيْتَهَا الضَّادُ .

بِضَفَائِرِ حَرْفِكَ تُكَابِرِينَ . وَبِثَائِرِ لَفْظِكَ تَتَأَبَّهِينَ . أَخَالُ أَنَّنِي
أَصْنَعُكَ . فَتَلْقَيْنَ حَرُونا . وَ عَلَى شِفَاهِكَ ابْتِسَامَةٌ مِنْ بَنَاتِ حَوَاءَ .
أَخَذْتَهَا تُحَاكِينَ بِهَا الْآدَمِيَّ . وَأَنْتِ الرُّوحُ لَمْ تَرْكَبِي جَسَدًا . تَغْوِينَنِي
. فَأَمْسِكُ بِكَ . أَعْرُكُ عَجِينَتَكَ . حَتَّى تَلِينَ . أُرِيدُ الْأَنَامِلَ أَنْ تَمُرَّ
مَرًّا خَفِيفًا . فَإِذَا هِيَ تَجُوسُ غَائِرَةً مِنْ لَيْنِ صَلْصَالِكَ .
أَصْنَعُ الْمَعْنَى . وَأَرْسِلُ بِهِ . وَكُلِّي خِيَلًا بِهَا صَنَعْتُ فِيرْتَدُّ إِلَيَّ .
وَقَدْ ابْتَسَمَ لَهُ الْمُتَلَقِّفُونَ . وَغَمَزُوا بِي . وَتَهَامَسُوا : لَمْ يَدْرِ أَنَّهُ الْمَصْنُوعُ .
وَأَنَّ الْمَعْنَى صَانِعُهُ . فَأَكْتُوِي بِمَكْرِهِمْ . وَأَنَاوَهُ بِحَالِي مَعَكَ .
وَالَّذِينَ أَحْعَجَزْتَهُمْ . وَعَقَلْتَ لِسَانَهُمْ . كَبَعِيرٍ ثَنَوْا ذِرَاعَهُ .
وَكَفَارِسِ النَّوْمِ يَرُومُ رَكْضًا . هَاهُمْ تَشَرَّدُوا عَنْكَ . فَالْتَفُوا يَرَاوِدُونِي
عَلَيْكَ .

هَاهُمْ يَقُولُونَ .

مَفْتُونٌ بِضَادِهِ . فَاتِنٌ .

هَاهُمْ يُنْشِدُونَ .

أَيْتَهَا الضَّادُ .

الرُّوحُ أَنْتِ وَأَنْتِ الرُّوحُ فَاسْتَمِعِي .

الرّوح أنت وأنت الروح فانهلي .
 هَوْنِي على سائلِك . وألهميه ظناً يشُدُّ به أودتَهُ . وسرّحي له
 الشكائِم . واتركيه على بعضِ وهمِهِ . أنَّهُ يصنع فيكِ صنْعاً . ويركِبُ
 بكِ أصبَاغاً . ثم يسوِّي بكِ تمثالاً .
 فإذا انتهى إلى الميعادِ . ففاتحيه بلطفٍ . وصوِّري له مرآةَ الظلِّ .
 ولا تخافي عليه . فبعضُ الجمالِ أفسى من بعضٍ .
 لن يَقدِّفَكَ برصفٍ . ولن ينالك منه سوءٌ . فالكائنُ الجسدُ
 أعجزُ من أن يُلوِّثَ بُنْفائَتِهِ شُهْداً مُصَفَّيً . فيه سحرٌ . وفيه الحِجَى .
 فيه الوجعُ . وفيه الشِّفاءُ .

عَلَامَةٌ

أيتها العريّة.

لأنت لذة تُغري . لَشَعْرُ حُرِّيَّةٍ لَا تُبَالِي . والعزّة مُدِيَّةٌ
تَسْتَأْصِلُ الْأَوْرَامَ . أَقُولُ فَأَرْتَوِي . وَأَصْمُتُ فَتَخْتَالُ نَفْسِي . يَرَى
الْجَائِعُ شَهِيَّةَ الْمَطَاهِي . فَيُمْسِكُ . وَتَمْتَدُّ الْكَأْسُ الزُّلَالُ لِلظُّمَأَنِ
وَهُوَ يَتَلَوَّى كَالْمَجْمُورِ . فَيَلْعَقُ الرِّيقَ مُتَبَلِّلًا بِاللَّطْفِ .

وَيَتَصَلَّبُ التَّوَقُّ . مُخَاتَلًا . ثُمَّ يَغْضَبُ . كَالْحَلِيمِ الَّذِي أَفْقَدُوهُ
الصَّبْرَ فَلَمْ يَبْغِ احْتِسَابًا . وَكَعَاشِقٍ تَعَلَّقُوا بِهِ . فَأَلَانَ عِنَانِ
النَّفْسِ . وَأَهْدَى شِكَايَمَهَا . ثُمَّ فَعَلَ الدَّهْرُ فَعْلَهُ . فَأَنْسَاهُمْ
شَأْنَهُ وَمَا فَعَلَ فَأَقْسَمَ مَتَوَعَّدًا . وَلَمْ يَدْرِ أَنَّهُ يَكْرُرُ السَّخَاءَ .

أنا الكلام .

أنا اللسان .

فوق كلِّ هَوًى كبريائي .

فوق كلِّ الناطقين شُمُوخِي .

خُلِقْتُ أَنْوَفًا .

سَابِقَى .

لَا أَطْرُقُ الْأَلْفَاظَ مُسْتَنَجِدًا .

لَا أَلْتَمُّ الْأَرْضَ بِأَكْيَا عِزِّ الْحَبِيبِ .

أَدُوسُ عَلَى الْحَسِّ الْهَفِيفِ .

أَقْبِضُ الْأَنْفَاسَ لِقَلْبٍ وَآلِهِ .

وَأَقُولُ فِي صَمْتٍ وَفِي وَجَعٍ .

لَا خَيْرَ فِي شَعْرِ سِقَانِي الْجَوَى .

وَأَضْعَفُ نَفْسِي فَأَذْكَئُنِي .

لَا خَيْرَ فِي لَفْظٍ يُجَرِّدُنِي شَمُوحِي وَكِبْرِيَائِي .

تَصْغُرُ الدُّنْيَا وَتَعْلُو لَغْتِي .

يَنْحِنِي الشَّعْرُ وَتَشْمُخُ عِزِّي .

لَا شَعْرَ عِنْدِي إِلَّا مَتَى يَسَابِقُنِي اللَّفْظُ فِي طَاعَتِي .

وَجَاءَتِ اللَّغَةُ . تَمْشِي الْهُوَيْنَا . بِالْفَاظِهَا . بِكُلِّ الْكَلِمَاتِ .

جَاءَتِ . وَفِي عِزِّ كِبَرِهَا . وَجِبَالُ التِّيهِ شَاهِقَةٌ . وَهِيَ نَافِرَةٌ .

سَكْرَى . مَكَابِرَةٌ . أَقْسَمْتُ عَلَيْهَا . وَأَضْمَرْتُ يَمِينِي . لَتَعْرِفِينَ مَعِيَ .

كَرَّةٌ أُخْرَى . حَرِقَةُ الشَّعْرِ وَأَوْجَاعُ الْكَلَامِ . وَلَتَلْتَمِينَ مِدَادَ اللَّفْظِ

سَاجِيَةً . وَلَتَطْلُبِينَ رَحْمَةَ الْأَرْضِ وَهِيَ ظَامِئَةٌ . وَلَتَهْمِسِينَ . بِكُلِّ

الجوارح . قائلَة . لاهِثَة . اسقِنِي ربَّ الكون . واغفر زلَّتِي في الشعرِ . ما
كان حقِّي أن آتِيه . ما كان حقِّي أن أجُورَ .

كُلُّ مَا تَأْتِيهِ مُطَاعٌ . مقدَّسٌ . أَقْبَلُ الأطرافَ . وأنحني .
وأقول في غير تَمَنُّعٍ . ماشئتَ . روحي إليك . وهبْتُهَا آسِري .
أيتها اللُّغَةُ .

أراكِ تراوديني . وأمرُكِ نافذٌ .

بنفسكِ لَنْ تُغْرِينِي .

لَنْ أقول بكِ شعراً .

لَنْ أَمَكِّنَكِ مِنْ نَفْسِي .

تَمَرِّدِي ما شاءَ لَكَ الإِبَاءُ .

راوِغيني كيفما بَدَأَ .

ثم عُدِّي فأسْلِمِي .

فأنتِ صَنِيعَتِي .

نص

زارني يوما شيطانُ الشعر . وحادثني . ثم رَوَى عني مفتريا . قال .
صادفني على غير ارتقابِ رسول . دَفَعْتُ به حرة . كانت
تقول . كل الرجال قفر . وبعضهم قفرٌ وجذب .

فَأَسْرَلِي بما أَسَرَّ . وانتَظَر . فقلتُ له . حبُّ الكلام من الهوى .
والهوى يُورِثُ الغواية . قال . وما حبُّ الكلام . قلتُ . إذا تَحَدَّثَ
والناس حولك . بعضهم يَسمعُ . والآخر كأنها يَسمعُ . وقليلٌ منهم مَنْ
يُصْغِي إليك . قال . أفليس حبُّ الكلام من حبِّ العباد . قلتُ . من
أَحَبَّ الكلام أَحَبَّ نفسه . ومن أَحَبَّ الناس أَصْغَى إليهم .
قال . وهل تتبدل الأحوال .

قلتُ . إي وربي . إذا خاطبتَ أنيسَكَ وبينك وبينه المسافاتُ .
فالكلامُ إليه أرواحٌ مجسَّدةٌ . والألفاظُ على الشِّفاهِ وعلى الخطوطِ
كائناتٌ تنفَّسُ . وترتدي الأثوابَ . وتردُّ عليك الصدى . تقولُها .
وتلمسُها . ثم تراودُها . فتضمُّها . فتعانقُك . ثم يَلدُّ لك إثارَتُها .
فتثورُ . وتُمسِكُ بك . فتحتضنُها . وتفارقُها الأرضَ . وترفعها بيديك

إلى فضاء السماء . ثم تستقبلها . وقد ضَحِكْتُ إِلَيْكَ . فَتَضَغَطُ بِصَدْرِكَ
ضَغْطَةً تُطْلِقُ أَزَّةً وَلَا تُفْصِحُ بِالْأَنِينِ . حَتَّى تَصِيحَ حُرُوفُهَا فَرَحًا .
وهي تتألم . ومازلت بالكلمات . وهي بك . حتى تَحْسَبَ أَنَّهَا غَيْرُ
الكلمات قد حضر إليك . كما تحضر الأرواحُ . فَلَا تُسَلِّمُ جَفْوَنَكَ إِلَى
مَنَامِ اللَّيْلِ إِلَّا وَهِيَ فِي أَحْضَانِكَ .
قال .

فسمعتُ الحرَّةَ بعدها تُرَدِّدُ . و تقول . كلَّ الرجالِ كأشباهِ الرجالِ .
إِلَّا وَاحِدًا . ولم تزد شيئًا .
ثم هَجَرَتْ قَوْمَهَا . وَ صَبَرَتْ عَلَى الْأَذَى . فَطَلَبُوهَا . فَأَرْسَلْتُ
إِلَيْهِمْ :

إِذَا طَرَأَ الطَّارِئُ . وَ ارْتَجَّتْ الْقَوَاعِدُ . فَاذْكُتْ أَبْوَابَ النَّفْسِ . وَ إِذَا
مَاجَتْ الْأَرْكَانُ . وَ تَدَاعَتْ الْجَوَانِحُ . فَتَمَایَسَتْ أَعْمَدَةُ الْيَقِينِ . وَ إِذَا
تَكَاثَفَتْ سَحَبُ الشُّكِّ . وَ تَلَبَّدَتْ الْغُيُومُ . فَدَوَّتِ الْأَعَاصِيرُ . حَتَّى
لَكَأَنَّ الدُّنْيَا غَيْرُ الدُّنْيَا . وَ إِذَا النَّفْسُ أَنْكَرَتْ نَفْسَهَا . وَ الْجُحُودُ عَلَى
الْأَبْوَابِ . وَ الْمَقْصَلُ يَهْوِي عَلَى مَا مَضَى قَطْعًا وَ بَتْرًا . وَ التَّارِيخُ سَلَّةٌ
كَبْرَى . وَ الْيَدُ كَالْأَظَافِرِ . تَسْتَلُّ وَ تَنْهَشُ . تَحْفَرُ فِي الذَّاتِ . وَ تَغْوِصُ
عَلَى الْأَغْوَارِ فَتُخْرِجُ مَا تُخْرِجُ . وَ تُلْقِي مَا تُلْقِي . وَ تُعَادُ السَّاعَةُ عَلَى
أَوَّلِهَا . يَوْمَهَا قَوْلِي . أَنَا الْفَاعِلَةُ . يَوْمَهَا قَوْلِي . أَنَا السَّاعَةُ . يَوْمَهَا قَوْلِي .

إني به . يومها شُدِّي على المِعْصَمِ . وعلى المسابح . واعْقِدِي أَلْفَا
و أَلْفَا . قَطْرَاتٍ من الوجد . كجَبَاتٍ من اللطف . يومها قولي . ثم
قولي . إني أنا .

تَرْخِيمٌ

قال ابن الحسن .

«ي عبدُ : الحروفُ كُلُّهَا مَرَضَى إِلَّا الألفَ . أما تَرَى : كلُّ حرفٍ مائلٌ . أما تَرى الألفَ قائمًا غيرَ مائلٍ . إنما المرضُ المائلُ . وإنما الميلُ للسَّقامِ فلا تَمِلُ .»
قالت الفصحى .

في الدلالةُ أسبحُ . وبالإيجاءِ أفُتِنُ . و عروسُ اللفظِ شاعرة .
جاءت من الصحراءِ . جاءت وفي يدها . قنديلٌ من الأصواتِ بحرِيَّة .
جَبَلِيَّة . أفرغتُ شَبَاكَهَا . و اصْطَفَيْتُ فصوصَهَا . و التذذْتُ بصفوها .
و سَبَحْتُ في الموجِ . غائصا . و جريتُ في الصحراءِ معانقا . لثمتُ شفاةَ
الرملِ حتى أذابَنِي . حُلُوَ المَذَاقِ . عَارِيَ الزَّبَدِ . وأسْدَلْتُ مائلَ
الشعرِ . و قلتُ للتي سَبَحَتْ . فوقَ اللَّجَيْنِ . إلى الماءِ . فعنده خَبَرِي .
ألوذُ و أطفو . كقائلِ الشعرِ . في غَزَلِ . و الأنفاسُ شاديةٌ . أبَحَرْتُ . إلى
الأعماقِ . أهفو . كَرَطَبِ النسيمِ . غاديا في الجوّ . خَفَّتْ مُهْجَتِي . فالمياهُ
قصائدي . و الرمالُ . و الأمواجُ . كَنَسِيمِ لفظِ . ساحرِ . و الشواطئُ .

كلُّها . تجري . راياتُها الشعرُ . وألحانُها نغمٌ . ورحيقُ صفوي .
والزَّمنُ . يالْفَظي . ويا زمني .
رَدَّ ابنُ الحسن .

قال

«يا عبدُ لا إِذنَ لَكَ ثمَّ لا إِذنَ لَكَ ثمَّ سبعونَ مرَّةً لا إِذنَ لَكَ
أَنْ تَصِفَ كيفَ تراني و لا كيفَ تدخلُ إلى خزانتي و لا كيفَ تأخذُ منها
خواتمي بقدرتي و لا كيفَ تقتبسُ من الحروفِ حرفاً بعزَّةٍ جبروتي .»
قال الراوي .

هو ذا الخاطرُ . من أعالي البرُج . والكونُ أخضرُ . والأشعةُ بازغةٌ .
والخالِدُ . تجري مياهُهُ . والصَّخْنُ يدورُ . وقلبُ البرجِ ثابتٌ يرسو .
ونحنُ طَوَّافٌ . وكذا الدنيا . بنا . تمرُ . والخطرُ سائحٌ . واختصرنا
الزَّمنُ . منْ على البرح . وقلنا قصَّةَ الأَلَمِ . وحكَّتنا أساريُّ البلى .
وصفَّا الخِلُّ . وسبقَ الدَّهرُ منْ جيده . وقيل للكون . حَلَقُ بنا . وكانَ
الذي . قد أفصحَ بإعجازه . وجهٌ . كالصامتِ . ولَحْظٌ . كالتائه .
وبريقٌ . خُذُوا الدنيا وهاتوهُ لي .

أجاب :

« وقال لي تُعرفُ الأسماءَ وأنتَ في بَشَرِيَّتِكَ . يأكلُ الخَبَلُ
عَقْلَكَ . وقال لي لِيَحْذَرْ مَنْ عَرَفَ أَسْمائِي منْ خَبَلٍ عَقْلِهِ ثمَّ لِيَحْذَرْ

مَنْ عَرَفَ أَسْمَائِي مِنْ خَبَلٍ قَلْبِهِ .

قالت :

عيدٌ من الأعياد جاء مُصَافِحًا . فالمواليدُ شَتَّى . والأعيادُ بلا
حساب . وعيد اللفظ هو العيدُ . وهو بمفرده عيد الأعياد . مَوْلِدُهُ
الذِّكْرَى . والأعمارُ خالدةٌ . أنا اللغةُ . أوقفتُ عَدَادَ الزَّمنِ . أوقفتُ
عقاربِي . كُبِرَى وصُغْرَى . أوقفتُها . عطلتُها . ساعة الزَّمنِ . على
الجدرانِ . وفي المعاصمِ . وعلى التَّلَالِ . كلُّها . ساعةُ الزَّمنِ . ساعةُ
التَّاريخِ . تجمَّدتُ . في شرايينِها . دماءُ الزَّمنِ . أهدرتُها . قلتُ للأيامِ .
كما قلتُ للأعمارِ . هُبُّوا . وتجمَّعوا . هو البدءُ والمنتهى . وبرايزِخِ
النُّهى . واليومِ . أيا لغتي . أيا ضادي وجاني . أهديك ما أهديك .
أهديك خَاتَمًا . بالألماسِ مُشْرِقةً . وَضَاءَةً . تُحوِّلُ الأبصارَ عن
وجنتيك . فأنا أغار على وجنتيك . وأنا أخاف الناظرينَ . الفاتحينَ أفواهَ
العيونِ . والسابحينَ . كالغرقى . في لُجِّ الجِمالِ . جمالِكِ القهَّارِ وقد
رَوَّضَنِي . حتى غزاني . فأحببتهُ . واستطبتُ هزيمتي . اليومَ أهديكِ
قلائدي . أهديكِ . أسواري و مسالكي . أهديكِ خريطةً . مرسومةً .
تسيحينَ بها في الأزقةِ . في الأدغالِ . وفي الزوايا ومكامني . تتجولين
والمعطفُ في اليدِ . والشتاءُ بعزّه . تتجولين . والشمسُ بازغةٌ .
والغمامُ مظلِّلٌ . في القيظِ . وفي العواصفِ . في الحرِّ وفي الشتاءِ . وفي

كل زمنٍ . أهديكِ خريطتي . ومراكبي . تطوفين . في بحر الهوى . وفي
العالم المسحور . وبين شوارعِي . اليومَ أهديكِ أغنيةً بلحنِ خالدٍ .
بوهجِ الشوق . بكبريتِ الوجدِ . أوقدِ الشموعَ .
أهديكِ .

ما أهديكِ
أهديكِ اعترافي .
قال .

» يا عبدُ
الحرفُ نُاري .
الحرفُ قُدري .
الحرفُ حتمي من أمري .
الحرفُ خزانة سري .
يا عبدُ .
لا تدخُلْ إلى الحرفِ إلا .
ونظري في قلبك .
ونوري على وجهك .
واسمي .
الذي .

يتفسح له قلبك .
على لسانك (. . .)
فإذا أرسلتُكَ إلى الحروف .
فلتقتبس .
حرفاً من حرف .
كما تفتبس .
ناراً من نار .
أقول لك .
أخرج ألفاً من باء .
أخرج باءاً من باء .
أخرج ألفاً من ألف . «
قال .

إني زائرٌ وأهوى . سائحٌ والوجدُ معي . راحلٌ وحقيبتِي .
شوقٌ وحبٌّ وأحلامٌ . شاعرٌ . وأنثُرُ الدرَّ على الكلمات .
أيتها الكلمات .
أيتها الكلمات .
هل تسمعين .
هل تسمعين .

أنا ما تعلّمتُ أنصافَ الحلولِ . خُذِيهَا أَوْ دَعِيهَا . لا شيء بعد اليومِ
أنكرُهُ . ولا أبِيُّ على الأشجانِ يَنكسرُ . أنتِ اللغة . أنتِ اللغة .
قال .

» يا عبد .

ما قلتُ لكَ ذلكَ .

حتى هَدَّ يَتُّكَ لذلكَ .

فرايتَ ذلكَ .

راهُ قلبُك .

وعرفتَ ذلكَ .

عرَفَهُ قلبُك .

يا عبدُ .

ما لأفكارِكَ .

تنعطف على أفكارِكَ .

وما لهمومِكَ .

تَبَيَّتْ وتُصَبِّحُ .

في همومِكَ » .

سَمَاءٌ

يُحْكِي أَنَّ امْرَأَةً مِنْ ذَوَاتِ الْأَسْرَارِ كَانَتْ فِيهَا مَضَى لَهَا مِنْ أَيَّامِ الْعُمُرِ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ عَنِ الصَّبَابَةِ تَأَوَّهَتْ. وَإِذَا تَحَدَّثُوا لَهَا عَنِ الْجَمَالِ تَنَكَّرَتْ. وَإِذَا جَاءَ ذَكَرُ الرِّجَالِ التَفَّتْ عَلَى نَفْسِهَا. وَانْقَبَضَ مِنْهَا الْجَسَدُ. وَامْتَدَّتِ الْخُلُجَاتُ. وَابْتَسَمَتْ. كَأَنَّمَا تَرِيدُ ضَحِكًا يُلْقِي بِهَا عَلَى مَدَدٍ. وَكَانَتْ تَخْلُوكُلُ لَيْلَةً فَلَا تَنفِكُ هَائِمَةً حَتَّى يَحْضُرَ لَهَا مِنْ عَالَمٍ لَا تَعْرِفُ مَوْرَدَهُ رَسُولٌ يَتِمَثَّلُ إِلَيْهَا بِهَيْئَةِ نَافِثِ الشَّعْرِ. فَتَخَالَهُ مَلَكَامُ مَلِكِهِمَا. وَكَانَتْ تَرْفُلُ بِهِ. فَيَقُولُ. حَدِّثْنِي بِالَّذِي تَجِدِينَ. وَمَا هِيَ إِلَّا رَهْبَةٌ حَتَّى تَقْصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهَا مَعَ الْأَحْشَادِ. ثُمَّ تَلْعَنُهُمْ. فَيَنْصَرِفُ. وَفِي لَيْلَةٍ دَعَتْهُ قَابَى. فَسَكَنْتْ إِلَى عَزَلَتِهَا. وَقَالَتْ. هَذَا نَذِيرٌ. وَلَمْ تَكْتَرِثْ.

فَلَقَدْ نَالَ الزَّمَانُ مِنْ عِزِّهَا حَتَّى ارْتَاضَتْ جَلْدًا. فَاسْتَلَقَتْ. وَأَغْمَضَتْ. وَلَمْ تَكُنْ مِنْ حَوْلِهَا الْأَنْوَارُ. وَقَالَتْ. مَا بَالُ النَّاسِ وَاهِمِينَ. مَا مِنْ أَحَدٍ يَرُوحُ وَيَجِيءُ إِلَّا وَأَنَا عَنْدهُ مِنْ أَسْعَدِ خَلْقِ اللَّهِ. يَرَانِي عَلَى خُلُقِي يَفْعَلُ فِي النَفُوسِ فَعْلَ الْآخِذِينَ. وَيَشْهَدُ مَا يَعْتَرِي

الوجهة مِنِّي . فَيُشْفِقُ إِشْفَاقًا يَعِزُّ عَلَيْهِ . و يراني على يقظة ليست كيقظة
حَوَاءَ . حتى إذا ضاق أمري أبديتُ انشراحا . و ما هو بالانشراح . وإذا
اغترَّ الناس بي أَقْضْتُ عَلَيْهِم من رحمتي . و النار تلتهب في جوانحي .
أَكْتُم الغيظَ . و أقولُ . قَدَرِي .

و مرّت الأيَّامُ .

و ازدادت الأيَّامُ .

و أبرمتُ في دُنْيَايَ عَقْدًا قَلْتُ لَا يَنْصَرُمُ .

هي ذا الحياةُ .

أَنْسَتُ بُشْرَهَا .

حتى قَلْتُ هي لي . و هو منها .

أَقْبَلُهَا كَارِهَةً .

و أَطَهَّرُ مَا تَجِيئَنِي بِهِ .

أَغْسِلُ الْأَدْرَانَ .

و أَصْنُمْتُ .

و ارتضتُ بما أنا عليه . و ارتاض بي . و أنساني اليأسُ كُلَّ أَدْعِيَتِي .

فلم يَبْقَ لي منها إِلَّا دَعَاءٌ كُنْتُ أَرُدُّهُ كُلَّمَا حَلَكْتُ بَيْنَ السَّوَادِ يَغْدُونُ

و يَرُوحُونَ . فأقول . اللَّهُمَّ إِن الصَّمْتَ عِبَادَةٌ . اللَّهُمَّ إِن الصَّمْتَ عِبَادَةٌ .

و كنتُ أُحَرِّكُ به لِسَانِي . و لَا يُسْمَعُ لي منه صَدْي . حتى كَشَفْتُ أَمْرِي

كَاهِنَةٌ . فَلَا بَسْتَنِي . وَقَرَأْتُ تَمَائِمَهَا . ثُمِيطَ اللَّثَامَ . وَ أَنَا فِي عَزَلَتِي .
كَأَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا الْأَمْدَيْنِ . وَ كُنْتُ أَقُولُ . إِنَّ هِيَ إِلَّا وَاحِدَةٌ مِنْ
السَّوَادِ .

فَحَمَلْتُ وَ زَجَرْتُ وَ اعْتَرَى وَ جَهَّهَا الْغَضَبُ وَ انْبَثَقَ مِنْ مَقْلَتِيهَا
شَرَرٌ كَاللَّهَبِ . وَ قَبَضْتُ عَلَى مَرْفِقِي قَبْضَةً أَوْجَعَتْنِي . وَ مَا حَلَّ بِالنَّفْسِ
أَعْظَمُ . فَ رَجَعْتُ نَفْسِي إِلَيْهَا وَ كَأَنهَا مِنَ الْأَدْغَالِ . وَ سَافَرْتُ بِي فَقَطَعْتُ
بِرًّا فِي رَحِمِ الْأَمْزَاجِ . وَ لَمَّا رَأَتْ فِي عَيْنِي بَرِيقًا اطمأنت وَ ضَمَّتْنِي إِلَيْهَا .
ثُمَّ أَمْسَكَتْ مِنِّي الْكَتْفَيْنِ وَ تَنَحَّتْ بِوَجْهِهَا عَن وَجْهِهِ وَ أَسَدَلَتْ ثَوْبِي
وَ ثَوْبَهَا وَ طَاطَأَتْ بِالرَّأْسِ وَ انتَظَرْتُ حَتَّى فَعَلْتُ فَعْلَهَا فَقَالَتْ فِي صَوْتٍ
حَنِينٍ كَأَنَّهُ آهَةٌ الْوَضْعِ تَتْلُو أَنَّهُ الْأَوْجَاعِ وَالْأُمُّ يَقْطِى وَالْوَلِيدُ عَلَى
الْفِرَاشِ : سِيَاتِي مِنْ يُبَدِّلُ حَالِكَ وَ لَا تَشْعُرِينَ .

وَ مَضَتْ وَ تَرَكْتُ فِي نَفْسِي مَا إِنْ سَأَلْتُهَا عَنْهُ حَارَتْ جَوَابًا .
وَ نَسِيتُ أَمْرَهَا .

وَ لَا أَذْكَرُ لَهَا إِسْمًا .

وَ دَارَتْ الْأَفْلَاكُ . وَ لَا يَمِزُقْنِي الْآنَ أَمْرٌ كَمَا تَمِزُقْنِي غَفْلَتِي عَنْهَا .

تَتَاكَلْنِي الْحَسْرَةُ أَنْ فَرَطْتُ فِي حَبْلِ الْأَسْبَابِ لَهَا . وَ عَلَيَّ مِلءُ الْأَرْضِ لَوْ أَنَّ
بَصِيرًا أَرَشَدَنِي الْيَوْمَ إِلَيْهَا فَأَضُمَّهَا وَ أَقْبَلَ مِنْهَا الْجَبِينُ .

مَدَادُ

مِنَ النَّاسِ مَنْ يُفْتَنُ فِي مَالِهِ . وَ مِنْهُمْ مَنْ يَفْتَنُ فِي إِيَّانِهِ . وَقَدْ
يُمْتَحَنُ الْمَرْءُ فِي بَدَنِهِ . وَقَدْ يُبْتَلَى فِي عَقْلِهِ . وَلَقَدْ فُتِنْتُ فِي كَلِمَاتِي .
وَالْفِتْنَةُ دُخُولٌ إِلَى النَّارِ تَصْهَرُ الذَّرَّاتُ وَ تَصْقُلُ فَتَخْلُصُ مِنَ الْأَدْرَانِ .
وَالْعَشْقُ فِتْنَةٌ لِلْمَرْءِ فَإِذَا الْمَرْءُ فِي عَشْقِهِ فِيمَا إِلَى انْتِحَارِ الذَّاتِ
بِحُبِّهَا . وَإِمَّا إِلَى خِلَاصِهَا بِهِ إِلَى الْأَبَدِ .

فَأَنْعِمُ بِهَا مِنْ فِتْنَةٍ إِنْ كَانَ الْخِلَاصُ مَأْلَهَا .

قَالَتِ الْكَلِمَاتُ :

تَاللَّهِ إِنَّكَ لَمَحِبٌّ لِنَفْسِكَ . مُغْرَمٌ بِهَا . مَفْتُونٌ فِيهَا . مَتَهَافٌ
عَلَى مَا يُرْضِيهَا .

قَالَ :

إِي وَرَبِّ السَّمَاءِ .

قَالَتْ :

أَلَا تَرَكَ مُتَعَلِّقًا بِحُبِّ مَنْ أَحَبَّكَ أَكْثَرَ مِمَّا أَنْتَ هَائِمٌ بِمَنْ أَحَبَّكَ .

قَالَ :

لست أدري . ولا مُنْجِمَتِي تدري . ولكنّ الذي أدري أني ما عرفت
نفسي إلا يوم عَرَفْتُكَ . عَرَفْتُهَا فِي سِرِّهَا وَفِي نَجْوَاهَا . عَرَفْتُهَا عَلَى أَسْنَامِ
قَوْتِهَا وَفِي سُقُوحِ ضَعْفِهَا . عَرَفْتُهَا فِي كِبَرِيَّاتِهَا وَفِي انْعِطَافِهَا . وَفِي
خِيَلَاتِهَا وَزَهْوِهَا كَمَا فِي لِينِهَا وَانْسِيَابِ أَطْرَافِهَا .

رُحْمَاكَ .

رَفَقًا بِالرَّضَى .

رَفَقًا بِالْإِنْجَمَاءِ .

وَسَأَلَ ابْنَ دُلَامَةَ أُمَّهُ عَنْ سَعِيرِ الْغَضَبِ فَقَالَتْ :

الْغَضَبُ فِتْنَةٌ فَلَا تَصْطَنِعْهُ . فَإِنْ غَلَبَ عَلَيْكَ فِي خَيْرٍ فَهُوَ خَيْرٌ
فَاسْتَعْنِ بِهِ عَلَى تَطْهِيرِ النَّفْسِ مِنْ أَدْرَانِهَا وَصَفَاءِ السَّرِيرَةِ مِنْ غَلَوَاتِهَا .
وَالْعُشَاقُ أَشَدُّ النَّاسِ غَضَبًا وَأَسْرَعُهُمْ إِلَيْهِ فَلَا يَلُومَنَّ أَحَدٌ فِيهِ . وَإِنَّمَا
تَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يُكَابِرُ فَتَعَزَّزَ عَلَيْهِ نَفْسُهُ حَتَّى يَسُوءَ ظَنَّهُ بِالْعَشْقِ فَلَا
يَعْلَمُ النَّاسُ إِنْ كَانَ عَاشِقًا أَوْ كَانَ مُصَانِعًا حَتَّى إِذَا غَضِبَ انْكَشَفَ الْغَطَاءُ
وَانْجَلَتْ الْحُجُبُ فَبَانَ مِنْهُ مَا كَانَ مُخْتَفِيًا .

قَالَتْ دُلَامَةُ : وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْرَارِ الْغَضَبِ وَ مِنْ أَجَلِ فَضَائِلِهِ .

ثُمَّ سَأَلَتْ بَرَكَانَ الْغَضَبِ :

مَنْ أَشْعَلَ نِيرَانَكَ . مَنْ أَضْرَمَ لَهْيَكَ وَأَطَالَ حَرِيقَكَ . مَنْ يَأْتُرِي
أَوْقَدَ تَنُورِكَ وَفَجَّرَ أَفْرَانَكَ . وَ مِنَ الَّذِي سَلَّطَكَ فَأَمْسَكَتَ بِي

وَاسْتَعْبَدْتَ فُؤَادِي . وَمَنْ أَوْقَعَ بَيْنَنَا فَرَكِبَتَنِي كَصَهْوَةِ الْجِيَادِ .

قل :

لَا تَسْأَلْ . فَحُمَمِي تُخْصِبُ الْأَرْضَ فَتَدْفُقُ بِهَا حُبْلَى وَلُودًا
جَنِينُهَا الْحَبُّ يُبْعَثُ بَعَثًا جَدِيدًا . وَتُسْقَى بِرُغَائِهَا شَرَايِينُ الْقَلْبِ
فَيَنْبُضُ بِمَا كَانَ يَنْبُضُ بِهِ حَتَّى الْأَزَلِ .

قت :

لَبَّيْكَ يَا غَضَبِي .

لَبَّيْكَ يَا غَضَبِي .

حَرْفٌ

سئل الملائك أن أهل الأرض قد استحدثوا من الأنا لفظاً أطلقوه على من أحب نفسه وآثرها على من سواها .

قالوا : دأب أهل الأرض عصيان خالقهم . فقد وضع لهم الأنثى ولم يجعل لهم لفظاً . ووضع لهم اللغة وجعلها أنثى .

هي تُحِبُّ فلا حُبَّ كحُبِّها . وهي تتهافت حتى لهي إلى الفناء عالقة بالعدم . ثم هي تُحِبُّ حُبَّها . كحُبِّها من أحبِّها . تَلُوكُ اللفظَ . وتَعْلِكُ الأوصافَ . وتُحَلِّي المَرَاكِمَ . ويدها تصنع البَلَّاسِمَ . تُضَمِّدُ ما حَفَرَتْهُ عَلَى الجَسَدِ . وتُوَارِي ما نَقَشَتْهُ عَلَى الرُّوحِ من المَغَارِرِ .

مملكتهَا من هروبِ الناسِ عن أحوازهم . وعرشُهَا من خوفهم المَكْرَ واتقائهم مَذَلَّةَ الأسْرِ وسوءَ الإفصاحِ . والقوَّةُ لها أنْ تُمَسِكَ بَمَنْ حَوَّلَهَا من مقابضِ الوَهْنِ وَمَرَابِضِ الأَوْجَاعِ .

عَلَّمَهُمْ بعضَ ذلكَ أبوهم يوم نزل إلى الأرض ونزلت حواءُ فراح يبحثُ نهاراً وَيَسْتَجِمُّ ليلاً . وظلت ساعيةً بالليل والنهارِ حتى إذا

تصادفا على الجبل أمسكتُ حيثُ كانت . وجرى مهرولا . فأخبر صادقا .
وقالت : منذ السَّماء لم أبرح موطني .

وما نَسِيَهُ الأبُ أَكْمَلَهُ الأبناء . فتفننوا في الطاعة ومهانة
السؤال . وكلِّما أَمَعَنَ الواحدُ منهم ظَنَّ نفسه الفتى وهو الطفلُ لا يبرح
أعتابَ المَرَّاضِع .

أفَّ لرجالٍ كأشباهِ الرِّجالِ .
وَسَحَقًا لِلأطفالِ يَجُودُونَ بغيرِ ما يَطْلُبُ الطالبُ . وَهُمْ على الوهمِ
أنَّ قد جادوا بما يَطْلُبُ الطالبُ .

وَتَبًّا لَصَبِيَّةٍ يَبْخُلُونَ بِأيسرِ ما وَهَبُوا وهو الكنزُ المطلوبُ
والمُبْتَغَى الموعودُ .

فكَتَبَ كَبيرُ الملائِكِ على بعضِ ألواحِهِ :
لو كانت الأُنثى ذَكَرًا و الذكر هو الأُنثى لاشتكتُ منه إليه أكثرُ مما
يشتكي اليومَ منها إلينا .

خُلِقَ الإنسانُ ما أَكْفَرَهُ .
ليته اكتفى بما خَلَقَ اللهُ ولم يَسْتَحِدْ لفظًا .
فتنةُ هذا من فتنةِ تلك .

دَلَالَةٌ

ياغتي . يا شاعرة .

سمعتُ فيما يسمع النائمُ هاتفًا جاء يُخبرني أنكِ يوماً ضحكْتِ .
وارتفع منكِ الصوتُ . وأنا غائب . فلما رأيْتُكِ وعرفتِ ما جاءني أرسلتِ
أنصافَ الجُفونِ . وتوسدتِ ذراعي . وطلبتِ الأناملَ . فراحتُ تهدهدُ .
ومرت على الوجنة . فاعتلتها حمرةٌ لم أر في حياتي لونها . وأطبقتِ
النواظرَ . وهمتُ بفمي منكِ الشفاهُ . فأبطأتُ بكِ . حتى قَزَعْتِ .
وجكوتِ الأبصارَ . مُحَمَّرَةً . تتبللُ . فأرسلتُ فمي . فطلبتِ ظلامَ
الصمتِ . فأعطيتُكِ نوراً . وأشفقتُ عليكِ .

فناديت :

ظمأى إلى لَفْظِكَ أنشدُهُ . ظمأى إلى نخلِكَ أَقْطِفُهُ . الحرفُ بُبْضُ
والمَدَادُ على الصَّدَى . و النفسُ حَرَّى . و البوادي . ولو اهفي .
كؤوسُ المفازاتِ تَقَاطَرُ كالنَدَى . ولستُ أدري . هل في اللفظِ
مَصْرَعُنا . أم القلورُ ، على الأوتارِ ترتجفُ . أم السرايا . أم الأوجاعُ على
الأفواهِ تبتسم . مَقَاتِنُ اللفظِ تهادت . ويسترقُ المنادي . ويعيدُ منشداً .

إلى اللفظ الرقيق أنا الظمانُ أقرأهُ إلى الحرف الجميل أنا الفنان أصبغهُ . إلى
الوجه الصَّبُوح . إلى النورِ المضيء . أنا اللّهفانُ . لهفي على الأشعار
أغزلُها . وعلى الصفائر . تمرّ يدي . تهدهدها . إلى سَعَفِ النخيل .
أليافٌ مُذهَّبَةٌ . خيوطٌ تتراعى . بأصباغِ الحروف . إلى الكلمات .
بمسكِ نَدَاكَ . أملؤها . إلى خفقاتِ القلب . أسمعُها . إلى نَبَضَاتِ
اللَّحْظ . وهو يرتعش . إلى الوجَعَات . أرُقُبُها . لهفي على لغتي . حبًّا
يعانقُ الألفاظَ . مُدْزَعَتُ . نجمةُ الأعرابِ فاتنةٌ . رَبَابُها الشعرُ .
وهي نائيةٌ . فمتى الألفاظُ تزدهرُ . ومتى الأمصارُ تقترب . وتزولُ عن
لغتي الشكوكُ . وينطلقُ اللسانُ مُجدِّداً . فَتَقْتَرِبُ الأمصارُ . وتُلْقَى
على الأبحار . جسورٌ ذارعاتُ . تَلْفُ المَخَاصِرَ . قدوداً مائساتُ .
ويلينُ لك الطيفُ العنيدُ . والشعرُ أكبرُ . كم في اللفظ من عَجَبٍ . ملءُ
القلوبِ . كوحدةِ الأوطانِ في وطن . يا وحدثي . يا وطنًا . يا لغتي . لا
انشعُرْ منك يَرْضِينِي . ولا الإيقاعُ بعيداً عنكَ يَرَوِينِي . ولا الكونُ
يَصِفُّوْهُ إِلَّا متى الألفاظُ تَتَّحِدُ . وينبثقُ اللفظُ الكبيرُ . فمتى الأجرأُ
تندملُ . ومتى الأطيافُ ترتحمُ . فيؤوبُ لي رُشدي الذي . على صَفَحَاتِ
اللفظِ ينتشرُ . وبين ضَفَافِ النخلِ . يزدهرُ . وتؤوبُ لي لغتي التي .
كألفِ سَنَى في ربيعِ عَمْرِي تَأْتِلِقُ .

تَرْتِيلٌ

إِلَيْكَ أَيَا سَيِّدِي .

إِلَيْكَ أَيَا نَاطِقِي . يَا مُتَكَلِّمِي .

أَنَا اللُّغَةُ . إِنِّي أَنَا الْعِذْرَاءُ وَإِنْ صُحِبْتُ . مَازَلْتُ بِجَوْهَرِي الْمَكْنُونِ
هَازِئَةً بِالشُّعْرَاءِ . بِالْحُكَمَاءِ . بِسُخَائِهِمْ يُسِيلُونَ مِنَ الْأَمْهَارِ أَوْدِيَةً . وَمِنْ
الْأَشْعَارِ أَفْتَدَةً . يَجْرُونَ . وَهُمْ لَا هِثُونَ . وَرَاءَ الْمَحَارِ وَالْأَصْدَافِ .
حَتَّى إِذَا مَا فَتَحُوا . بَابَ الْقِلَاعِ وَابْتَهَجُوا . بِالنَّصْرِ . بِالكَسْبِ . بِاللَّذَةِ
الْعَجَلَى . عَادُوا إِلَى تَشْوَةِ اللَّفْظِ . عَلَى الْأَكْتَفِ أُرْدِيَةً . مِنْ لُجَيْنٍ وَمِنْ
دَهَبٍ . وَالْوَهْمُ قَاتِلُهُمْ . فَازُوا بِتِلْكَ الْأُنْثَى . وَقَدْ كَسَبُوا . كَأْسَ
الْمَوَاسِمِ . وَالصَّدُورُ تُوشِحُهَا . دَوَائِرُ الْأَذْهَابِ . وَمَا فَطَنُوا . وَمَا عَرَفُوا .
مِفْتَاحُ الْقَلْبِ . فِي غَيْرِ مَا قَصَدُوا . مِفْتَاحُ الْقَلْبِ . وَالْأَلْبَابِ . سَيِّدُهَا .
أَمِيرُ اللَّفْظِ . فَارِسُ الْأَحْلَامِ . صَانِعُ الْعَشْقِ . نَاحِتُ الْأَمْثَالِ . إِلَى الْبَيَانِ .
وَفِتْنَةُ الْكَلِمَاتِ . كُلُّ الْعَذَارَى . وَالطَّائِرَاتِ . وَالْفَرَاشَاتِ . تَنْجَذِبُ . حَتَّى
تَذُوبَ . بِضَوْءِ النُّورِ . بِنَارِ الْوَجْدِ . وَتُعْلِنُهَا . وَتَقُولُهَا . عَلَى طَوْلِ
الْمَدَى . إِلَيْكَ يَا مَلِكِي . إِلَيْكَ أَيَا سَيِّدِي . إِلَيْكَ . أَنَا الْعِذْرَاءُ . إِلَيْكَ

دمي . فارتشفُ على قدَحٍ . واسقني من دمي . فلا النارُ وأنتَ مني
بحارقة . ولا الأنوار في غيرِ وجدك ساطعةٌ . فالنورُ أنتَ . والنارُ
وجدكُ . واللهيبُ . لهيبُ لفظك . وأنا فيكَ فانيةٌ . فلا ترحم . عليك بي .
عليك بي . فذاتُ الأشجانِ تأوَّهتُ . فشكَّتها الزفَّراتُ . مرَّهفٌ قلبي
والأوجاعُ تلتهبُ . والصوتُ منخَقٌ وتلكمُ الأنفاسُ . ويحثمُ
الخوفُ . داعياً متبِّلاً . ويلوحُ في الأفقِ المَرَامُ . الأزهارُ تلمسني .
وأشجارُ الربيعِ . والصدرُ مُتزعجٌ . والطائرُ الخفَّاق . أوَّاهٌ يشدُّني .
جنَّاحانِ في كبدي . والسماءُ . والغربُ . والشَّفَقُ اللَّمَّاعُ . وبحارُ
الموجِ . وتهاليلُ الصَّبَا . والماءُ مُفْتِنٌ . وتُشرقُ الشمسُ . هاتوا
الفَناءَ . هاتوا المغاربَ . وَلَيْسَكُتِ الصوتُ . ليمتدَّ الهَوَى . والرجعُ
قادمٌ . وفي الليلةِ الظلماءِ . يَصْمُدُ الثائرُ . ويثوبُ الصابرونُ . والتائهونُ .
والعائدونَ بِرَجْعِ الصَّدَى . والمُقْسِمُونَ . تاللهَ لراجعونَ . وليلةُ
الرحيلِ . دموعٌ ذارفاتٌ . والكحلُ مغتسلٌ . وأوديةُ السَّرَابِ . تقرأُ
الكفَّ . قلوبٌ وقلوبٌ . ستائرُ الرِّوضِ . وألوانُ العطورِ . أعناقُها
الجيدُ . والروابطُ تلتوي . وتزهو بها الأشواقُ . والأيدي الواثقاتُ .
تُغازِلُ الثوبَ . والمرأةُ باسمه . وتَخْجَلُ العينُ . ويمتدُّ الحديثُ .
والحناجرُ واجفاتٌ . وفي كلِّ صباحٍ . وثاقٌ جديدٌ . وروابطُ الأعناقِ قيدٌ
محبَّبٌ . وتحلو الملابسُ . والنواظرُ سائلاتٌ . خقفِ الوطاءَ . أفلا تُعْغِي .

وَيَحْتَفِلُ الْجَمْعُ . وَيَطْلُعُ الْبَدْرُ . وَيَصِيحُ بِالْمَلِكِ الْوُدُودُ . مَا بَالُنَا نَقْطَعُ
الْأَيْدِي . فَيُوسَفُ هَاهُنَا . وَزُكَيْخَاءُ الْيَمَنِ . عَلَى الْعَرْشِ مَالِكَةٌ . وَالصَّرْحُ
الْمَرْدُ . وَالْمَلِكُ الشَّامِخُ . لُجَّةٌ مِنْ قَوَارِيرُ . وَيَدْخُلُ التَّاجُ . وَيَأْتِي عَلَى
سَبَا . يُوسَفُ وَالْأَمِيرُ . وَتَأْتِي الْهُوَيْنَا . وَتَحْمَدُ الْعَرْشَ . دَاعِيَةً . أَفْ
لَهُمْ . فَيُوسَفُ أَنْتَ . وَأَنْتَ السُّلَيْمَانُ .

لَمَجَّة

أَيْتَهَا الْأُنْثَى . مَا أَنْتَ إِلَّا لَهْجَةٌ . صَه . لَكَ عِنْدِي صُورَةٌ .
لَا تَتَحَدَّثْ . أَخْشَى عَلَيْهَا . أَنْ تَتَدَحْرَجَ شُرْفَاتُهَا . فَاسْكُتِي .
سَتَنْزِفِينَ دَمًا . سَتَشْقِينَ عَذَابًا . سَتَسْأَلِينَ الْمِرَاةَ كُلَّ صَبَاحٍ . أَكَلَامِي .
كَانَ نَزْوَةً . أَمْ كَانَتْ لَهْجَتِي . أَمْ مَسْكَنِي . أَنَا التَّائِهَةُ . عَرَفْتُ الْأَحْوَالَ .
كُلَّ الْأَحْوَالَ . فِي مَطْلَعِ الْكَوْنِ . انْفِجَارُهُ الْأَكْبَرُ . فِي بَدْءِ الْخَلِيقَةِ . كَلِمَةً .
وَأَدَمُ كَلِمَةً . وَحَوَاءُ . وَالشَّعْرُ . كَلِمَةً . وَبِدَايَتِي . كَانَتْ . كَلِمَةً .
فَعَشَقْتُ الْكَلِمَةَ . عَلَى جِدَارِ الصَّمْتِ . كَسَرْتُ قَلَمِي . بَيْنَ الْهَوَاتِفِ .
ضَاعَ صَوْتِي . مَا خَلْتُ أَنِي قَدْ أَتُوبُ . مُدْمِنًا كُنْتُ . فَاقْدَا حَسَّ الْإِبَاءِ .
فَتَعَجَّلْتُ الْغَوَايَةَ . وَاسْتَطَبْتُ مِنَ الْهُوَى . وَنَادَيْتُ بِالْأَحْضَانِ . أَيْتَهَا
الدَّوَاهِي . إِنِّي لَأَنْتَحِلُ الْقَصَائِدَ . مُسْتَلْذًا بِدَمْعِهَا . كَاطِمًا لَغِيظِ الشَّعْرِ .
أَلْوِي اللَّهَاءَ . وَأَغْصُ . كَمُنْتَحِرٍ بِسَيْوْفِ الْلَفْظِ . مُرَاوِحًا بَيْنَ الدَّعَاءِ .
لَزَجًا . مُفَاخِرًا . مَكَابِرًا . طَلَبُ الشَّهَادَةِ . لَيْسَ يَعْْنِي . أَنْ نَمُوتَ . طَلَبُ
الشَّهَادَةِ . أَنْ نَعِيشَ . وَأَنْ نَرَى جَنِينَ الْهُوَى . تَفْتِكُهُ الْأَبْدِي . وَيُودَعُ .
سَلَّةَ التَّارِيخِ . مُهْمَلًا . وَالْمَقَابِرَ .

أَلَا فَانْضَرِّمِي أَيْتَهَا النَّارُ . أَلَا فَالْتَهَبِي . مع الفجر . وعند
الْعَسَقِ . وانبلاجِ النور . والخيطُ الرقيقُ . ساطعاً يتسلَّلُ . والقُرصُ
الأحمرُ . والكوكبُ الهادي . والأفلاكُ هائمةٌ . ويَخرجُ الساعي .
حريصاً . مؤذناً . قَطَرَاتُ النَّدى . تُبَلِّلُهُ . وليس يدري . متى يتصبَّبُ
الطَّلُّ . أو يترامى الرِّذاذُ . الحقلُ عائمٌ . و الباسقاتُ مزارعٌ ومفاتنٌ .
سراييلُها الخُضرُ . فوَاحَةٌ بِشَدَى اللِّوَاقِحِ . والنخلةُ الحوَاءُ . عطرُها .
يأتي السَّبايا . فَيُنْشِدُنَّهُ . وتمضي بُرْهَةٌ الفجرِ . ويعلو من الأشعةِ .
همسٌ كهمسةِ الأقراصِ . وهي واجهةٌ . تَتَحَفَّزُ . تدعو إلى الظلِّ الوَرِيفِ
أناملَ الفيضِ . مَسَلَاةٌ كفراديسِ الشَّجَى . ويأتي صباحُ الفجرِ . وَيَسْكُنُ
الكونُ . و البدرُ يَنحجبُ . وتحتفلُ الأفلاكُ . والحلُّ بِخِلِّهِ . وتَصْدَحُ
المآذنُ . بصوتِ قَرَّاحٍ . أَلَا أَيْتَهَا الشَّمْسُ . انكسفي . وَيَنْسَدِلُ الظلامُ .
وترتعشُ القلوبُ . معصوفةٌ . منها الرُّضابُ . يتصبَّبُ . والأيكُ مُحْفوفٌ .
بزهَرِ الجِنَانِ . ورداً عبيقاً . تائها في الروضِ يتلوهُ النَّدى . واللَّحْنُ .
كَشْفَاهُ الصَّوْتِ غَامِزَةً . يعلُّو . وَيَخْفُتُ . مُنْشِداً . ومردِّداً . أوَاهُ يازَمَنُ .
قَفْ هَاهُنَا . عليك بنا .

لو تَسْكُنُ الأفلاكُ سَاعَتَنَا . ويؤوبُ من ساحرِ الألوانِ . طيفٌ .
خذ بيدي . فالأناملُ داعيةٌ . يأتي الرحيقُ ديبُها . وَيَنْبُلِجُ السَّعِيرُ . كَأَلْسَنَةِ
اللُّهَابِ . مالي أراكِ مسارعاً . فالعُشْبُ أَخْضَرُ . والرَّوَاءُ مكابرٌ . أنساغهُ

الْبَكْرُ. عِيُونُهَا. تَفِيضُ مِنْ غَسَقِ الْفَوَادِ. جَدَاوِلُ اللَّفْظِ. كَظْلَالُ عَرْشٍ
 عِنْدَ الْأَصِيلِ. عِنْدَ الْفَصِيحِ. عَلَيْكَ بِي. تَبْرَأُ فَتَبْرَأَ. هَاتُوا الْبِرَايَا.
 كَالْمَفَازَاتِ الَّتِي. بِهَا أَمَلِي. بِهَا لَهْفِي. لَا تُوصِدُوا الْبَابَ. وَلَا الْجَدَاوِلُ
 تَرْتَوِي. إِلَّا مَتَى. تُصِيبُ الْوَجْدَ. وَالرَّيْحَانَ. وَنَرْجِسِي. فُكَّ الْعِقَالُ.
 وَأُطْبِقَتِ الْجَفُونُ. وَتَحَرَّكَ اللَّفْظُ. لَوْ نَطَقَ الطَّيْرُ بِهِ. لَا مَطَرَ الْقَلْبَ
 يَاعِجَازِهِ. بِإِثَارِهِ. بِلَحْنِ كَجَوَادِ السَّمَرَا طَبِ وَالنُّهَى. فِيكَ الرَّحِيلُ.
 وَصَحْرَاءُ أَرْضِي. هَضَابُهَا. وَتَلَالُهَا. مُحَمَّرَةٌ. أَحْبَبْتُهَا. مِنْذُ فَجْرِ
 تَائِهِ بَيْنَ الْحَنَايَا. فَضَاؤُهَا الرَّحْبُ. يَلُوذُ بِمَعْبَدِي. بِالْغَابَةِ الْوَعَثَاءِ.
 بِالْعَطْرِ الْعَنِيفِ. كَسِهَامِ نَبْلِ. قَوْسُهَا. فَاسْكُنِي. فَالْغَيْثُ آتٍ. وَمَنْ
 قَبْلَنَا. عَطَشُ الظَّمآنِ سُلَاقْنَا. فَلْتَظْمِي. أَوْجَدُ هَائِمٌ. أَمْ جُنُونُ
 الرَّاشِدِينَ. الْقَادِرِينَ. الْفَاتِحِينَ أَقْفَالَ السَّرَائِرِ. وَالْقَائِلِينَ. إِنَّ الْفَتَى. أَتَى
 أَتَى. وَارْتَمَتْ الْأَطْرَافُ. وَعَلَى الرَّبِّي. يَتَكَسَّرُ الْمُكَابِرُ. غُفْرَانُكَ
 الذَّنْبَ الَّذِي قَدْ تَأَبَّى فَسَجَا. وَأَقْسَمْتُ عَلَيْكَ. بِلَهْجَتِي. بِالَّذِي
 أَسْعَرَنِي. خُذْنِي إِلَيْهِ. عَلَى الْمِينَاءِ رَاسِيَةً. شَرَاعُكَ بِيَدِي.
 رَايَاتُنَا الْحَمْرَاءُ. بِيضٌ. عَلَى شَاطِئِ الزَّهْوِ تَرْسُو بِنَا. مُعْسَكِرُهَا
 الْجُنُونُ. وَصَوْتُ سَاحِرٍ. طُوبَى لِمَنْ بِنَارِكَ يَصْطَلِي. يَا مَنْ
 يَصْطَلِي. وَعَلَى جِمَارِكَ يَلْتَوِي. وَفِي نَهْرِكَ الْفَوَارِ. أَبَدًا لَا يَرْتَوِي.

شَدُو

قُبيلَ الفجرِ . تَقِظُ حسي . فأفقتُ ثَملاً . وتوهمتُ نوما . سافرتُ فيه . لا يَرُدُّني وقتٌ يَمضي . ولا أرضٌ حَزَنٌ . حتى إذا . ما بلغتُ النُّهى . خلوتُ إلى الحبيبِ . مهاضِباً . أجسُ إليه الطريقَ . بين المعاطفِ مترقِّفاً . أدنو . ثم أتوقِّفُ . فيأخذني التَّوقُ . ثمَّ . يَصُدُّني . هَيفُ خَوْفٍ . كالرَّعشةِ نَحْشَى بها . أن ينقضِّي الذي بنا . فأعاودُ . فإذا الذي بنا . بعضُ ما بنا . تمرُّ أنامِلي على الصَّحائفِ . فيزهو اللفظُ متلقِّفاً . وتنفتحُ المعاني . مُعَانِقَةً . كاللَّغو البعيدِ آذاه الحنينُ . إلى وطنٍ . فَحَلَّ به . يُقبِلُ أرضه . ويُمَرِّغُ الوجهَ على الكلماتِ . يَسْتَنشقُ عَبرَ المَرآفِءِ . يهفو . كصبيٍّ إلى المَحاضنِ . وسمعتُ اللفظَ يشدو . فانسدلتُ على الوجنتينِ . مَعازِفُ الشكوى . وأحسستُ أن الكلامَ يتظلمُ . يريد أن يُفَاتِحَ . فلا يُفصح . وَيئنُّ أنيناً يَعَضُّ فَوادي . فأردُّ له الصَّدَى . أباكِيهِ بالدمعِ السَّخيِّ . ثم أضغَطُهُ بين الحناجرِ . فَيُسَلِّمُ أَنَّهُ . تُنادي بلا مَكلٍ . فأحتضنُ الألفاظَ . كأني مُلائِمٌ . ومُقَبِّلٌ . ثم أعتصرُ اللِّفَافَ . هِفاً كأنه المعنى . أَبخِرُهُ الرُّوحَ . تُصَاعِدُ الأنفاسَ . وأتركه

يفيضُ خوفًا . يكادُ يَغْضَبُ . حتى إذا ظَنَّ الكلامُ . أَنِّي مُعَذِّبُهُ .
 تسَلَّقتُ الهَضَابَ . في يَدَيِ الألفاظِ . وأمسكتُ تِلَالَهَا . عَنيفًا كَأَنِّي ظَالِمٌ .
 أَجْسُ . ثم أَمْسِكُ قَابِضًا . ثم أَضْغَطُ . لا يُوْوبُ لي حُلْمٌ . ولا يراودني
 الإِشْفَاقُ . أثَبْتُ الحُرُوفَ على الصَّحَائِفِ . بين السُّطُورِ . أوْشِكُ أَن أَقْتُلَعَ
 ما بَدَأَ . وما خَفِيَ . وأنا بين زفرةٍ وأنينٍ . والنَّارُ تَوَقَّدَتْ . من طوقٍ .
 وخلا القلبُ . إلا من لَهِيبِ شوقٍ . كالمعنى يَتَخَلَّقُ . أسمعُ أَزِيْزَهُ .
 يعلو . ويعلو . ويلهفُ . صائتًا ومغرَّدًا . رحماكُ إِغَاثِي . أدركني . مَدَدًا .
 مددًا . لا تُشْفِقُ . ضفافي موطنكُ . شفاهي عَيْرُكَ . مكانِي أَسْرارُكَ .
 وحين توسدتُ اللُّوحَ . وأُسلِمتُ إلى اليراعِ . ذِرَاعِي . وفاضِ اللَهِيبِ .
 وتوجَّسَ الكلامُ نِقْمَتِي . صاحَ بِنَفْسِهِ . يَجْلِدُهَا :

تَبًّا لِسَاعَةٍ كَفَرَتْ فِيهَا بِنِعْمَتِكَ .

سُحْقًا لِّغَفْلَةٍ زَاغَتْ بِرُشْدِي فَضِيعَتْ حَبِّي .

رَجَمًا لِيَوْمٍ خَلْتُ فِيهِ أَن أَكُونَ غَنِيًّا . فَطَلَبْتُ إِلَيْكَ هَجْرَانِي .
 وكابرتُكَ فِيهِ . ثم أَصْرَرْتُ على الفُرْقَةِ أَعْلَمُكَ فِيهَا الدَّرْسَ .

لا حملتُ بِمِثْلِكَ أُمَّ أَيُّهَا المَارِدُ الَّذِي هَمَسَ في كَبْرِيائِي هَمْسًا
 انْتَفَخَتْ بِهِ أوداجي خَوْاءَ فَاخْتَلَطَ الدَّمُ النَقِيُّ بِوَعْثَاءِ الضَّلَالَةِ .
 أَيُّهَا الإِلَافُ الحَبِيبُ . ما أَنْتَ إِلَّا مَنْ عَرَفْتُ . ما أَنْتَ إِلَّا أَنْتَ .
 وَسَجَا الرَفِيقُ . فَتَلَمَّحْتُ في العَيْنِ دَمْعَةً . كَشْهَدَةِ العَسَلِ . خِلْتُهَا

نذيرَ مَناحةٍ . فارتشفْتُها . فكانتَ قَطراتِ الجَوى . تُساقِي فرَحًا . أبَدَ
الدهرِ . كدمعةِ الأنثى ليلةَ زُفَّتْ إلى الحبيبِ لم تُعرفْ قبلَهُ حبيبًا ولا تحالُ
بعدهُ .

ثم سَكَنَ الفجرُ . فَنِمْتُ . وسمعتُ الكلماتِ يُرَتِّلْنَ تسابيحَ
الفداءِ . وسمعتُ إحداهنَّ تنادي من بعيدٍ :

كنتَ حبيبًا يومَ عرفتكَ .

وكنتَ حبيبًا يومَ استشاطَ غَضَبُكَ .

وكنتَ أَلَفَ حبيبٍ يومَ لم تَهْجُرْ ولم تَنقَمْ .

فَمَنْ لي بالسَّماءِ تُعِينني على نَفسي كيْ أخلصَ لنفسي .

ومن لي بأَحمالِ الأرضِ تُعِينني على رضاكَ منذُ بُحْتُ لك : إني

خالصةٌ لكَ من دوزِ الكلماتِ فَصَدَّقْتَنِي وكدتُ بعدَها أنْ أَكْذِبَ

نَفسي .

فعَهِلاً قبلتَ مَتابتي .

هي خالصةٌ خالصةٌ .

وأنا الخالصةُ الخالصةُ .

جَهَنَّمُ

الواحةُ جَنَانٌ تُسْقِيهَا الْمِيَاهُ . وَ الْجَزِيرَةُ دِيرٌ كَصَلَاةِ الْآمِنِينَ .
و الرِّبْعُ رَوْضَةٌ تَرْتَجِفُ فِيهَا قُلُوبُ الْخَائِفِينَ .

إِذَا قَطَعْتَ زَهْرَةَ فَتَذَكَّرْ مَنْ سَقَاهَا . وَإِذَا وَقَفْتَ عَلَى الْأَهْرَامِ فَلَا
تَنْسَ مَنْ مَاتُوا وَهُمْ يُجْرُونَ الْأَحْجَارَ .

اسْتَلَّ السَّنَجَابُ قِطْعَةً وَانْزَوَى بِهَا فِي الْمَغَارَةِ خَائِفًا ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي
وَاسْتَوَى عَلَى الْغُصْنِ وَتَمَطَّطَ فَرَوْهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفِ الْجُوعَ يَوْمًا .

الْفِتْنَةُ أَنْ تُلْقِيَ بِالْأَجْسَادِ فِي التَّوَرِّ تَصْطَلِي وَ الْاِفْتِتَانُ أَنْ تَضَعَ الْيَدَ مِنْ
كَفِّهَا عَلَى الْجَمْرِ فَتَكْتَوِي فَلَا تَصْرُخُ وَلَا تَسْتَغِيثُ .

كَانَ شَعْبٌ مِنَ الشُّعُوبِ مُغْرَمًا بِالْأَمْثَالِ يَنْتَهَجُ فِيهَا نَهْجَ الصُّوَرِ
وَ التَّمثِيلِ وَكَانُوا يَقُولُونَ : الرَّجُلُ كَالرَّأْسِ وَ الْمَرْأَةُ رُقْبَتُهُ يَخَالُ أَنَّهُ
قَدْ تَرَبَّعَ عَلَيْهَا جَالِسًا وَ مَا يَدْرِي أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تُدِيرُهُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ
الشِّمَالِ .

إِنْ يَكُنْ الْأَبُ نَاضِلًا وَالْأُمُّ لِلْأَزْجَالِ قَائِلَةً فَلَا تَلُومَنَّ الْبَنْتَ إِنْ
فَاضَتْ بِالشَّعْرِ أَقْوَالُهَا .

الهاتفُ رسالةٌ والنظرةُ خطابٌ والصِّمْتُ إبلاغٌ والرحلةُ كتابٌ
وقضاءُ الليلِ سفرٌ من الأسفار.

لشركاتِ الكمبيوترِ شاراتٌ . من كُبرياتِها واحدة اختارت
صورةَ تَفَاحَةٍ مقضومة . قال قائل : هذا من الفن الرمزي . وقال آخر :
هو من الرسم الجديد . وقال ثالث : هو مما بعد الحداثة . وقلت : لو لم
تُقَضِّمِ التَّفَاحَةَ ما أَكَلْتُ ولو لم تُؤَكِّلِ التَّفَاحَةَ ما نَزَلَ آدمُ الأرضَ ولو لم
يَنزَلْ ما كانت حياةٌ .

السَّحابُ قد غَشِيَ السَّمَاءَ . وأذنَ المَزْنُ بُهَاءِ هَاطِلٍ . فجاءَ رعدٌ .
وجاءَ برق . وعَصَفَتِ الرِّيحُ بها عَصَفَت . وانتظرنا الغيثَ . غيثَ السماءِ .
إِيَّاكَ أَنْ تَحُولَ أَمَلُ اليَوْمِ إلى اليَأْسِ من الغدِ وإذا شَقِيتَ بها نَفْسَكَ فيه
فأسعدْ بها يَدَكَ عليه .

لخطوطِ الطَّيْرانِ شاراتٌ . لهذه حمامةٌ . رَقَّتْ . وانسلَّتْ في الفضاءِ
مَجْنَحَةً . كأنها تطير . ولتلك غزالةٌ . تمددتُ . لكأنها . في عَدْوِها . حمامة
فَرَّتْ من أَيْكِها . وللأخرى صورةُ طائرٍ . من الجوارح . عَيْنُ حَدَاةٍ
وأجنحةُ العُقَابِ . مَخَالِبُ النَّسْرِ أَوْزِيزُ الصَّقُورِ .

الكونُ كائناتٌ . جمادٌ ونباتٌ وأحياءٌ . وصندوقُ البريدِ من خشبٍ
ومعادنٍ . مفتاحه وكذا جذرائه . جماداتٌ . والنَّخْلَةُ نَبَاتٌ . إذا ماتت .
وجفَّ رُؤُؤُها . وقُطعتْ هامَتُها . فجذعُها الباقي . وقد أَيْسَسَ . جمادٌ .

أَلَفَ الْجَذْعُ زَائِرَهُ . وَعِنْدَ الْهَجْرَانِ . أَنَّ الْجَذْعُ وَاشْتَكَى . حَيْثُ بَيْنَ
الْأَحْيَاءِ . تَمَّتِ الدَّائِرَةُ . وَطُويَ السَّجَلُ .

سَيِّدَةُ أَمِينَةٍ . جَاءَتْ إِلَى الْبَنكِ . وَفِي يَدِهَا صَكٌّ . تَرِيدُ صَرْفَهُ .
فَاسْتَلَمَتْ . ثُمَّ عَادَتْ . فَقَالَتْ . يَا سَيِّدِي . مَا أُعْطَيْتَنِي . يَفِضْ عَلَيَّ
الْقِيَمَةَ . فَهَآكَ الْفَائِضَ . رَدَّ عَلَيْهَا الْخَازِنُ نَقُودَهَا . وَزَجَرَ غَاضِبًا : « أَمِينُ
الْخَزَانَةِ عِنْدَنَا لَا يَخْطِئُ » . فَحَارَتْ بَرَهَةً ثُمَّ أَفَاقَتْ . آثَرَ الْإِبَاءِ فَأَضَاعَ
عَفَافِي .

الْبُرْقُوعُ لُجْدَتِي . وَالْخَمَارُ أُمُومَتِي . وَالْقِنَاعُ لُطْفَلَتِي .
وَالْحِجَابُ لِسَيِّدَتِي . وَالْهُودُجُ هُودُجِي .

أَخَذْتُ الْمَقْوَدَ . وَسَرْتُ بِسَيَّارَتِي . عَلَى الطَّرِيقِ السَّيَّارِ . ثُمَّ أَضْأْتُ
النُّورَ . يَمْنَةً . وَإِذَا بِي أَرْكَنُ .

لَقَدْ رَكَنْتُ عَلَى الشِّمَالِ بِمَرْكَبِي .

النَّفْسُ عَوْدٌ . وَالظُّنُونُ نِيرَانٌ . يَدْبُ لَهْيُهَا . اسْتِقَامَ الْعَوْدُ أَمْ لَمْ
يَسْتَقِمَ . وَلَوْلَا قَيْظُ الشُّكِّ . لَمَا عُرِفَ بَرْدُ الْيَقِينِ .

فِي يَدَيِ الْيَمْنَى وَرْدَةٌ . وَعَلَى شَفَتِي السُّفْلَى تَمْرَةٌ . وَفِي مَسَامِعِي
لَحْنٌ نَجِيٌّ . قَدْ عَانَقَ شَعْرًا رَقِيقًا . وَالْكَفَّ تَلَامَسَ بِأَنَامِلِهَا . مَسًّا
شَجِيًّا . فَفَاحَ أَرْبَجٌ . وَعَاوَدَنِي عَبَقٌ . وَسَاوَرَتْنِي مَبَاخِرُ الشَّرْقِ . فِي
قَلْبِهَا عَوْدٌ . وَعَلَى الْمَشَارِفِ جَهْرَةٌ . الْخَوْفُ مِنَ الْحَبِّ . كَالْخَوْفِ عَلَى

الحبيب . كارتعاشة البرد الصقيع . كالحمى في شدة القيظ . أحبتُ
خَوْفَكَ . أحبتُ جمرَكَ . عشقتُ قيظَ حَمَاكَ . مثلَ ليلِ هادىء . مثل
الظلمة في السكون . يَحَارُّ القلبُ . يطولُ السُّهَادُ . ليس القادم
كالمرْتَحِلِ . ولا يومي يُشْبِهُ يوماً من أيام أمسي .
إذا زُكِّلَ العرشُ . واهتزَّت الأرضُ . بِجِبَالِهَا . وهوى البناءُ .
فَقِفْ . صامدا . وقلْ . في صَمْتٍ . وفي جَلَدٍ . إِنِّي هنا .

هَمْسٌ

هَبَّ نَسِيمٌ . وأنا على سفح الجبلِ . أطوف بالوادي . وأهل الرِّبعِ
نِيَامٌ . فتعطَّرتُ به . وفتحتُ جوارحي . طالبا . هل من مزيدٍ . وغمرتني
رائحةٌ . حرَّكتُ سواكني . فنقلتني مما كنتُ فيه . وأخذتُ تجرُّني . حتى
ظننتُ أنني . أحيي زما مضى . وأمعتُ في الرحلة . متخطيا لحواجز .
متساميا . كأنَّ الجسمَ قد خَفَّ مِنِّي . وإذا أنا . كَحُلُمٍ شاردٍ . أُرْقِلُ في
حُلُلٍ . فعرفتُ أنني صادق .

طائرٌ يَرُوقُهُ البحرُ . وطائرٌ يَحْسُدُ السَّمَكَةَ . وهي تَسْبَحُ .
وتقولُ . مَنْ لِي بمجدٍ . أو بسحرٍ . أو بِقَدَرٍ . يأخذني . من الماءِ . إلى
عنانِ السَّماءِ . فيَهْوِي الطائرُ . بَرَقًا صاعقا . ومن أعماقِ البحرِ .
يأخذها . ويُحَلِّقُ عاليًا . ومُفاخرا . قَنَصًا شهيا .

خَلُوتِي . كَدَتُ أَخافُكَ . خلوتي . لولا أنني . أحببتُ ذاتي . منذ
أحببتُ . خلوتي . منذ أسرتُ لي خلوتي . منذ قالت لي في عَزَلَةٍ . للنَّعيمِ
لَذَّةٌ . وفي الحَرَمَانِ لَذَاتٌ .

أرتشف من الفنجان جرعةً . جرعةَ القهوةِ . حيثُ لا سَكَّرٌ . هكذا

أَتَعَمَّدُ. أَتَقَصَّدُ. كُلُّ الْمَرَارَةِ فِي بَدَايَتِهَا. ثُمَّ تَنْقَشِعُ. وَقَدْ أَوْصَوْنِي
بِتَرْكِ السُّكَّرِ. وَلَسْتُ مُعْتَلًّا وَلَكِنْ رَوْضُونِي. وَقَالُوا. هُوَ أَفْضَلُ.
وَقَالُوا. سَتَغْدُو الْقَهْوَةُ. حُلْوَةً. بِلَا سُّكَّرٍ. حِينَ تَتَعَوَّدُ. بِهَا
تَأْنِسُ. وَتُؤَالِفُ. تَرُكُ السُّكَّرِ. فَفَعَلْتُ. وَهِيَ ذِي. قَهْوَتِي. بِلَا
سُّكَّرٍ.

قَالُوا. مَا أَسْرَعَ أَنْ تَحِبَّ امْرَأَةً. قَالَ. إِذْنِ. مَا أَسْرَعَ أَنْ تَنْسَى
النِّسَاءَ. قَالُوا. مَا أَعْجَلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ رَجُلٌ. قَالَ. مَا أَهْوَنَ أَنْ يَتَهَاوَتْ
الرِّجَالُ. فَتَحَاكَمُوا. قَالَ الْقَيِّمُ. إِذَا عَزَّ عِنْدَ الْمَرْأَةِ حُبُّهَا. أَمْسَكَتُ.
حَتَّى يَطُولَ عِصَامُهَا. فَإِنَّ هِيَ أَسْلَمَتْ. هَانَ سَلَامُهَا. يَخَالُونَهَا تَتَهَاوَى.
وَهِيَ لَا تَتَهَاوَى. قَالَ. دَكَا لِرَجُلٍ حَدِيدٌ. لَيْتَ أَنَّه. مِنْ ضِلَعِهَا.
قَالَتْ. هَذَا يَنَادِينِي. وَذَاكَ يَصَافِحُ. وَثَالِثٌ مِنْ أَعَالِي الشَّرُفَاتِ.
يُطِلُّ. مُحَابِيًا. وَأَخٌ لَهُ. عَلَى الْمَرِّ الْأَسْفَلِ. يَشِيرُ مُغَازِلًا. يَرَاوِدُنِي.
وَأَنَا كَمَا كُنْتُ أَنَا. وَأَنَا هُنَا. أَدْعُو وَأَبْتَهِلُ.

أَفْتَحْ كِتَابًا. أَسْتَلْ وَرَقَةً. أَقْضِمُ أَطْرَافَ الْقَلَمِ. فِي انْفِعَالٍ. فِي تَوْتَرٍ.
ثُمَّ أَبْحَثُ عَنْ مُعْجَمٍ. عَنْ قَامُوسٍ. وَلِسَانِ الْعَرَبِ. وَقَدْ هَدَّاتِ
الْخَوَاطِرَ. فَأَقْرَأُ مَتْنًا. وَشَرْحًا. وَحَاشِيَةً. ثُمَّ أَقْتَفِي صِلَةً. تَتْلُوهَا
الصِّلَاتُ. وَأَعُودُ إِلَى الْمَقْعَدِ. إِلَى الْأَرِيكَةِ. وَالْقَلْبُ قَوْضَى. وَالنَّفْسُ
سَائِحَةٌ. وَأَسْأَلُ. مَنْ أَنَا. ثُمَّ أَسْتَدْرِكُ. وَكَيْمَ السَّوَالُ.

على المكتب . نظرتُ إلى صورتي . وفي المرآة . تأملتُ صورتي .
وعلى الهويّة . وجواز السفّر . وفي المحافظ . رُحْتُ أَقْلَبُ . أَقْرُ
بهذه . وأستكرُ هذه . ثم جمعتها . وأعدتُ على المنضدة توزيعها .
وترتيبها . وقلتُ . لو أختارُ من بينها . أو لو أسوي بينها . وانتبعتُ إلى
السّاعة . في معصمي . فوجدتها تتحرّكُ . فلملمتُ ما تَنَاقَرَ . وطويتهُ .
طيّاً رفيقاً .

وكنتُ أحبُّ الموسيقى . كنتُ أعشقُ الألحانَ . واليومَ أريدُ أن
أغنيَ . فلا صوتي يطاوعني . ولا الألحانُ ترتادني . فأعود إلى الأنغام
أُسمِعُهَا . فيأبى السّمعُ . وتتمرّدُ . على إرادتي أذني .
العشقُ . إذا سَمَا عالياً . العشقُ . إذا علا مسرعاً . وإذا حلّق
زاهياً . وارتقى صُعُداً . فأشفقوا عليه . وعَلِقُوا التّمام . وأقرؤوا له .
سورة الإخلاص . وسورة الفلق .

من المكتب . خرجتُ إلى الصالون . ثم إلى الشّرفة . دَخَلْتُ المطبخ .
وأطللتُ على الحديقة . ثم نَادَى المنادي . إلى البهو . ثم إلى غرفة في
الطابق العلويّ . فامتلأتُ بالفضاء الرّحْب . وانقبضتُ نفسي فجأة .
فَالضِّيقُ ضِيقُهَا . والرّحابةُ من إحساسها . وما الكون إلا مرآة . على
صفحاتها . تنعكس صورةٌ . هي صورةٌ من نفوسنا .

في الغابة . في الجوّ . وعلى متن البحار . أحسُّ بوحدي . وبين أركان

المصحّة . حيث أَسْتَشْفِي . في الْمَعْبَدِ . وبين أركانِ الْمَحَابِسِ . هي
عُزْلَتِي . كأنه الهدوءُ . كأنه السّكونُ . لست بخائف . ولستُ بِمُرتَجِفٍ .
وسألتُ عُزْلَتِي . عن هُويّتها . عن مُنبَتِها . عن مَرْتَعها الفسيحِ . أَمِنْ
حَوْلِي هِيَ . أم مِنْ جُودِ مَنْ حَوْلِي . ومن حينٍ إلى حينٍ . في نفسي أراها .
أحادثها . أكادُ أحبُّها . سيّانِ عِنْدِي اليَوْمَ . الثَّرَى والقَمَرُ .

إِشْمَامٌ

قالت لي اللغة : أنتَ العاشقُ الجديدُ . لا أقولُ لك إلا ما قاله من قبلك ابن الحسن :

«اقعدُ في ثُقبِ الإبرة ولا تَبْرَحْ ، وإذا دَخَلَ الخيطُ في الإبرة فلا تُمْسِكُهُ ، وإذا خرج فلا تُمَدِّهِ ، وافرحْ فإني أحبُّ الفرحانَ ، وقُلْ لهم قَبْلَنِي وَخَدِي وَرَدَّكُمْ كُلَّكُمْ . فإذا جاؤوا معكَ قَبَّلْتُهُمْ وَرَدَدْتُكَ ، وإذا تَخَلَّفُوا عَذَرْتُهُمْ وَلُمْتُكَ ، فرأيتُ الناسَ كُلَّهُم بَرَاءً » .

قلتُ لِلَّغةِ :

أيتها الضادُ . مفتاحُ قلبِك بيدي . وأزرارُ الفساتينِ . وسِدْرَةُ الْمُتَهَيِّ . بيدي . أنت . بيدي . أسماؤُك التي قد خَطَّهَا القائلونَ . أوصافُك كما حَرَفَهَا المُدَاعِبُونَ . بيدي . أوتارُ قلبِك . بالنَّغمِ الحائرِ . بيدي . ريشَةُ العَزْفِ . وآلَةُ الدَّبَّكِ . ومِعْطَفُ العُودِ . وتسايحُ القانونِ . بأناملي . مَفَاتِحُ الآهاتِ . ولذائذُ الأنينِ . بأصابعي . مَفَاتِنُ اللَّفْظِ . لو أُمْسَكْتُ . ما قالوا بكِ شعراً . ولو تَمَنَّعْتُ . ما سَمِعَ صوتُ شَيْطانِ الخليلِ . إيقاعُك بيدي . وتفعيلاتُ الوزنِ . وأساريرُ الضنَى .

أَمْوَاجُ الْبُحُورِ . وَصُورَةُ الْفَنِّ . وَتَمَثَالُ الْهُوَى . كُلُّهَا فِي مِقْبَضِي . لَكَ
الْغَابَاتُ . فَانْسَرِحِي . لَكَ الْأَعْشَابُ . فَتَوَسَّدي . لَكَ مَا شِئْتَ . لَكَ مَا
أَشَاءُ . أَقَمْتُ سَجْنًا . وَشَيْدْتُ قَبْرًا . وَدَفَنْتُ بَنَاتِكَ . لِهَجَاتِكَ . دَفَنْتُ
الْحُزْنَ الَّذِي . أَحْبَبْتَهُ رَوْضَتِهِ . أَقْسَمْتُ يَوْمًا . بِالْوَفَاءِ لَهُ . بِالْعُمْرِ . كُلِّ
الْعُمْرِ . مَا فَاتَ مِنْهُ . وَمَا هُوَ آتٍ . بِالصَّبْرِ . بِالْجَوَى . سَفَّهْتُ أَحْلَامَكَ .
وَقَهَرْتُهُ . أَنْبَتُكَ زَهْرَةً . وَأَيْقَظْتُكَ رَيْمًا . وَدَفَنْتُهُ . بِأَسْنَانِكَ الَّتِي
نَظَقُوا بِهَا . وَبِأَوْصَافِكَ الَّتِي غَاظَلُوهَا . لِأَحْفَرَنْ مَغَارَةً . بَشْرًا سَحِيقًا .
وَلَا دَفِنَنْ فِي غِيَابَاتِهَا . عَقَارَبَ التَّارِيخِ . وَأَشِيدَنَّ مَقْبِرَةً . شَاهِقَةً .
عَمَلَاقَةً . وَلَارُسْمَنْ رُخَامَةً . وَلَا كُتُبَنْ . هَذِهِ مَدْفَنَةُ الزَّمَنِ .
فَلْتَمُتْ . يَا أَيُّهَا التَّارِيخُ . وَلْتَعِشْ . يَا خَالِدًا . يَا سِرْمَدِيَّ الْكَوْنِ .

أَيْتُهَا الْكَلِمَةُ . أَرْهَقْتُكَ . صَوَّرْتُ حَبْكَ . وَمَشَاعِرِي .
يَا فِتْنَتِي . مَا حِيلَتِي . أَنَا الظَّالِمُ . مَا حِيلَتِي . أَنَا الظَّالِمُ . مَا حِيلَتِي . وَأَنَا
الْوَفِيُّ . فَلَنْ أَخُونَ طِبَائِعِي . وَلَنْ أُغَيِّرَ قَبْلَتِي . سَأُظِلُّ دَوْمًا . رَائِحًا أَوْ
غَادِيًا . طُولَ الْبَحَارِ . وَعَرَضَ الْمَدَى . لَكَ ظَالِمًا . سَأُظِلُّ . وَإِذَا
الدُّنْيَا تَحَايَلَتْ . فَكَفَّفْتُكَ مَظَالِمِي . وَأَوْجَبْتُ نِي طَاعَةً . فَلْتَعْرِفِي . أَنِّي
أَنَا . قَدْ خَيَّبَ الْأَمَالَ فِي ظُلْمِهِ . وَإِذَا مَا الظُّلْمُ صَاحَ غَخَصِمًا . وَأَتَاكَ
بَعْدِي . وَاشْتَكَى . مَتَاوَهًا . بِأَنِينِهِ . فَتَبَتَّلِي . بِاسْمِ الْهُوَى .
وَتَرَنَّمِي . بِاسْمِ الْجَوَى . وَقُولِي . بِمِلْءِ جَوَانِحِي . بِالْأَحْلَامِ . بِالْأَرْقِ .

بالفاء بالجيم بالراء . بكلّ فجرٍ باسم . بالفجرِ مُفردًا . بالفردِ مَجْموعًا .
وبكلِّ رَنَّةٍ هَاتِف . بالموعد . بالألواح . بالخطِّ الفاتن . بالسَّحرِ
الحرام . قولي . ولا تَتَرَدَّدِي . بُورِكتَ لي . يا ظالِمي . إني لظُلْمِكَ
قد آتيتُ شَفِيعَةً . لا تَسْتَهِنُ بِشَفَاعَتِي . بُورِكتَ لي يا ظالِمي .

إِدْغَامٌ

في تجاعيد الوجود الآتي . سيُضاجعُ التاريخُ لُغَتِي . ستَحْمِلُ . ثم
تَضَعُ . سيَكْبُرُ الوليدُ . وينحرفُ . فتُنَاجِيهِ .

أيها الشعرُ . ما أنتَ إلا ذَكَرٌ . وكل الذكورِ سَوَاسِيَهُ . أيها اللفظُ
اللَّعِينُ . أوهمني . أنك مفردٌ . ألا سَوَاكَ يَمَاطُوكُ . فإذا أنا . كالغرةِ
المخدوعة . آمنتُ أنك كاملٌ . قَدَسْتُ لَفْظَكَ . ولثمتُ بالشفةِ الحرَّى .
حرُوفَكَ . وعلى الأوزانِ . رقصتُ يومي وليلتي . ورحتُ أمتَصُّ^{٢٨}
رحيقَ الكلماتِ . وأقولُ . هو البعثُ الجديدُ . هو الفنُّ . هو الخلودُ . تمثالٌ^{٢٩}
من الإغريقِ . كآلهة . يعجزُ الفنُّ عن نَحْتِهَا . لها يسجد التائهُ . لها .
ولظلمها . وتحت غَمَامِهَا . يستظلُّ فؤادٌ كَسِيحٌ . وفي رحابها .
تَحْتَمِي . تَلْكُمُ الأُنثَى التي . كانت تَظُنُّ أن الرجالَ . وكلَّ الرجالِ .
قد عاشوا مرةً . ثم مات جميعُهُمْ . وما الدنيا . في هذه الأزمانِ . إلا .
بأشباه الرجالِ . مَلَأَى . فإذا أنا مخدوعةٌ . بالشعرِ . وما الشعرُ . ما هو
إلا زائغٌ . ما كان إلا مُزَيِّفًا . دُوسًا لمنشورٍ تَفَرَّطَ عِقْدُهُ . طَعْنَا
للجواهر صُنِعَتْ . بمَعْسُولِ الهوى . أقسمتُ بالشعرِ . كم كان أخرى به .

أَلَا نَزُوغَ أَبْصَارُهُ . أَلَا يَخُونُ الْعَهْدَ . عَهْدَ وَفَائِنَا . عَهْدَ الْأَمَانِي .
 يَتَقَاطَرُ عَطْرُهَا . نَتَسَاقَى أُرْيَجَهَا . نَمُوتُ وَنَحْيَا . بَيْنَ نَهْرٍ وَجَدُولٍ .
 تَهَادَتُ نَفُوسُنَا . كَمَا يَخَايِلُ مُرْدُوسٍ . أَبَدِيَّةَ الْأَزْمَانِ . خَالِدَةَ الْهَنَاءِ .
 شَرِيقَةَ الْأَنْسَامِ . صَرْفِيَّةً . حَتَّى الْجُنُونِ . مَجْنُونَةً . كُنْتُ أَنَا . مَجْنُونَةً .
 مَازَلْتُ أَنَا . فَبِمَنْ أَجَنُّ أَيَا تُرَى . أَبَالُ عُرُوقٍ قَدْ تَهْتَكُ عَرَضُهُ . أُمُّ بِالنَّثْرِ
 وَالْحَفَاءِ مَجَازُهُ . يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ . هُبُّوا مَعِيَ . وَتَمَرَّدُوا . يَا أَقْدَارَ
 الْكُونِ . تَبَدَّدُوا . يَا أَسْمَاءَ الشَّعْرِ . تَفَرَّقُوا . فَلَسْتُ قَائِلُهُ نَكْمٍ . مَا كُنْتُ
 أَقُولُهُ . وَلَكِنِّي . سَأَهْمِسُ هَمْسَةً . بِهَا أَهْتِكُ الْأَعْرَاضَ . سَأَقُولُهَا .
 سَأُبُوحُ بِسِرِّهَا . سَأَقُولُهَا وَاللِّسَانَ مُمَزَّقًا . سَأَقُولُهَا . وَالْفُؤَادُ
 بِدِمَائِهِ يَتَقَطَّعُ . سَأَقُولُهَا . وَلِلْأَقْدَارِ مَغْفِرَةٌ . سَأَقُولُهَا . وَلَسْتُ
 بِرَاجِعَةٍ . سَأَقُولُهَا . وَلَسْتُ مِنَ اللَّوَاتِي . أَنْوَحُ وَأَنْدَمُ . سَأَقُولُهَا . كُلُّ
 الرِّجَالِ سَوَاسِيَةٍ . سَأَقُولُهَا . حَتَّى أَنْتَ يَا وَلَدِي .

نَبْرَةٌ

... وإذا القائلُ هو القائلُ:

« ... أنتَ صاحبي . فإذا لم تجدني فاطلُبني عند أشدِّهم عليَّ
تمرُّداً . وإذا جَدَّتني فلا تَعْصِه . وإن لم تجدني فاضربه بالسيف ولا تَقْتُلْهُ
فأطالِبكَ به وَخَلِّ بَينِي وَبَينَكَ . ولا تَحِلِّ بَينِي وَبَينَ الناسِ . وَخاصِمَني .
وَتَوَكَّلْ لَهُم عليَّ . فإذا أعطيتُكَ ما تريد فاجعلهُ قُرْباناً للنار . وقف في
ظِلِّ فقيرٍ مِنَ الفقراءِ . فَسَلِّهُ أَنْ يَسْأَلَني . ولا تَسْأَلْني أَنْتَ فَامْنَعْ
غَيْرَكَ بِمَسْأَلَتِكَ فَتَكُونَ ضِدّاً لِي وَأَخْذُكَ » .

فناديتُ لغتي . زفرةٌ جاءت إلى القلبِ . زفرةٌ كالسَّاحِرَةِ . أنينُها
الحُلُمُ . والذَّاكِرَةُ . إِيَّه . يَذاكِرُهُ . وأنا القادرُ . لَيْلاً وَنهاراً . أنا القادرُ .
بَسائِطُ العُمُرِ في مَفَرَّشِي . وَالمكانُ القَصِيُّ يا أيها الناسُ . ألا فقولوا .
كما قال الذي قال . أنا العاشقُ . أنا الوجدُ . أنا الزَّمنُ . أنا الرُّوحُ مُتَّحِداً .
أنا الحاضرُ . أنا الذي . على غيرِ أَهلِهِ كَتَمُوهُ . حَرَّمُوهُ . أنا العشقُ
المُبَّاحُ . أنا الزَّمنُ المَبَّاحُ . أنا الخالِصُ من دونِ العبادِ . القلبُ تغريدُ
وَمِرْجَلُ . يَشْدُو . عن شوقِهِ لا يَرِحُ . وبَسائِطُ الخَضراءِ . في وَجَدِهِ .

تَهِيمٌ وَتَرْقُلٌ. وَنَعِيمُهَا. وَضَفَائِرُ زَهْوِهَا. تَبْنِي الْبَلَابِلُ أَيْكَهَا. لَتُقِيمَ
يَوْمًا. لَتَعُودَ دَهْرًا. وَكَأَنهَا عَنْ رِيَاضِ الْوَجْدِ لَا تَرْحَلُ. وَالفَجْرُ
وَضَاءٌ. كَأَن شُعَاعَهُ. سَوَاحَةٌ. تَتَهَلَّلُ. هَلَاءُ أَبْنَتِ الْقَوْلِ. أَمْ هَلَاءُ
جَلَوْتَهُ. أَيَا قَلْبُ. لَا ظَمِئْتُ. جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ حَوْلَكَ. وَلَا أَنْتَ.
بِخَالِصِ شَهْدِهَا. حَتَّى الثَّمَالَةِ. تَتَصَبَّبُ. تَنْسَابُ مَيَّاسًا. تَتَسَلَّلُ.
مَتَهَادِيَا عَشَقًا فُرَاتًا. وَمَغْنِيَا نَشِيدَ عَوْدَتِنَا. فَإِلَى مَتَى. هَازِي الرُّبُوعُ.
تَتَبَاعَدُ. وَإِلَى مَتَى. هَازِي الْقُلُوبُ. بِرَضَابِ شِدُوكَ تَتَقَطَّعُ. وَشَهْوَةُ
الذِّكْرِ. لِقَلْبِ مُقْفَرٍ. وَالشَّمُوعُ. تُؤَاكِلُ الشُّهْبَ لُعَابًا. وَنَارٌ تَقْذِفُ
الْفَتَائِلَ حِمَمًا. وَتَهْلِلُ النَّخْلُ. وَارْفِ الظِّلَّ. وَسِرُّ الْكُونِ حِرْقَةً.
تَطْوِي حِرْقَةً. وَيَهْتَفُ الْهَاتِفُ. لَتَدْخُلُوا الْأَفُقَ الرَّحْبَ. مُحْضَيْنَ. غَيْرَ
خَائِفِينَ. وَالْفَتْحُ الْقَرِيبُ. وَكُلُّ شَيْءٍ مُرْتَبٌّ. مُنْضَدٌّ. مُوقَّعٌ
تَفْصِيلًا. فَإِن أَنَا مِتُّ. فَسُبْنِي. وَإِذَا رَحِلْتُ فَنَادِنِي. تُعَانِقُ الرُّوحُ
صَلِيَّهَا. وَالطُّهْرُ أَوْرَقٌ. وَالْمِيَاهُ جَوَادِبٌ. وَالنَّهْرُ أَتُونُ وَمَرَجْلُهُ
الدَّمُّ. وَتَرْتَوِي النَّفْسُ فِدَاءً. وَمَوْجُ الْبَرَارِي. رِمَالٌ كَالْجَوَارِي.
لِمِثْلِهَا. عَنَّتِ الذِّكْرَى. وَدَاءُ الْوَجْدِ نَسْيَانٌ يَزُولُ. أَرَوْضُ الْعِشْقِ
أَلْوَانًا. وَتَسْكُنُ النَّفْسُ. وَالْقَلْبُ طَائِعُهَا. إِنِّي أَنَا السَّاكِبُ. فَافْتَحْ لِيَدِي.
ثَغَرَ الشَّرَابِ. وَاصْبِرْ عَلَى جُرْعَةٍ. وَاكْفُرْ بِالَّذِي سَكَّنَكَ. وَافْزَعْ.
وَقُلْ. بِاسْمِ الْكَوَاكِبِ. دُجَاهَا اللَّيْلُ. وَنُورُ وَاجِفٍ صَمَدٌ.

إِمَالَةٌ

أَيْتَهَا الْفَصْحَى : سَعِيدٌ . وَبِحَبِّكَ أَكْثَرُ . أُعْطِيتُ . وَلَكِنْ لَكَ أَكْثَرُ .
فِي الْبَدءِ كَانَتْ كَلِمَةٌ وَأَكْثَرُ . وَالْيَوْمَ أَكْثَرُ وَأَكْثَرُ . عَانَقِينِي . دَثِّرِينِي .
صَوَّرِي عَلَى جَسَدِي . رَسُومَ اللَّفْظِ . وَوَشَّحِيهِ . بِلُوحَاتِ فَنِّكَ . ثُمَّ
أَرْسَلِي . عَلَى مَعَاطِفِي . وَبَيْنَ جَوَانِحِي . خُمَائِلَ لَيْلِكَ . إِنَّنِي . مَلَكْتُكَ
نَفْسِي وَأَكْثَرُ . أَعَانَقُ شَوْقًا . فإِلَى غَيُومِكَ رَحَلْتِي . وَإِلَى مِحِيطِكَ مَلَجْتِي .
طَرِيقِي إِلَيْكَ مَفَازَةٌ . بِهَا الْأَشْوَاكُ تَلْسَعُنِي . عَهْدِي إِلَيْكَ . غَاضِبَةٌ أَوْ
رَاضِيَةٌ . لَيْسَ أَيْهَا التَّعَبُ . لَيْسَ لَيْلِكَ . يَا أَيُّهَا اللَّهْبُ . دَعِينِي وَنَثَرِ
الْعُقُودِ . أَنَا حُرٌّ . وَحُرَّةٌ كَلِمَاتِي . كُلُّ قَيْدٍ بِجُرْحِهِ . وَكُلُّ جُرْحٍ
بِنَبْضِهِ . فَمَتَى النِّزَالُ . فَالْمَرْكُوحُ جَاهِزٌ . وَكَذَا الْأَبْطَالُ .
وَالْأَضْوَاءُ . وَالْقَادِمُونَ لِيَنْظُرُوا . مِهْرَجَانَ اللَّفْظِ جَابُوا صُوبَهُ . يَعَانِقُونَ
الْوِزْنَ . وَالْإِيْقَاعُ يُرْقِصُهُمْ . إِلَّا الْيَتَامَى . هَاتُوا الْيَتَامَى . دَرَّرُ الْأَلْفَاظَ لَهَا
تَتَهَادَى . نَثَرًا وَأَلْوَانُهُ شَتَّى . كَمَا صَاغَ صَائِعٌ . أَدَاعَبُ الْأُورَاقَ . أَنَا
اللَّاعِبُ . أَحْرَكُ الْأَحْجَارَ . كَأَنَّهَا الْعَاجُ . مِنْ رُخٍّ وَمِنْ مَلِكٍ . وَهَازِي
الْأَمِيرَةَ . تَمُوتُ وَتَحْيَا . وَالْبِيَادِقُ حَوْلَهَا . تَطُوفُ بِفَارِسِ الشِّطْرَنْجِ . حَتَّى
تُذِيبَهُ . نَسْتَقُولُ عِنْدَهُ . كِشٌّ وَمَاتَ . فَإِنْ تَحْيَا . فَبِإِمْرَتِي . وَإِنْ تَلْهُو .

فبلعبتني . وإن أنت أمسكت العنان . فقل لنا . أي الفوارس . ذاك الذي .
 غاباته العُشبُ . أم هذا الذي للفظه ظالمٌ . طوّقت . فلتقرؤوا . باسم
 الدعاء . صلاتها . وسهادها . نهارها الليل . وبعض أسمائها . إلى
 العدالة . ومملكة العشق . مطلوبةٌ . ومن غيري . أنا الطالبُ . أنا
 الطالبُ . فاسأل العرافَ عنا . ثم قولي . إنها الأقدارُ فينا . ربةٌ تلهو
 وأفلاكٌ تدورُ . والذي نفسي بلاءها . والذي عنا يغيبُ . أن ذا الروحَ
 ملاكٌ . أن ذا طيفٌ حبيبٌ . عائدٌ يومًا يُغني . سائحًا بين الدروبُ . في
 رياض الأفق يدعو . ويُنادي . ويؤوبُ . هو ذا الحلمُ المؤجلُ . هو ذا الماءُ
 الزلالُ . هو ذا الأيكُ الفريدُ . هو ذا الحبُّ العنيدُ . فهل أذاك حديثُ
 القلاع . شاخات . صامدات . أقفالها الصلْدُ . والرواسي الشاهقات .
 الصخرُ أولهُ . والبرجُ قبلتهُ . وفُتّت القلوبُ . حَبَّاتُ على الأرض .
 طيورٌ عابراتُ . وإذا البرقُ هَمًّا . وإذا اللحظُ مدادُ . رجفةُ الأقلامِ
 بياضُ ناصعٌ . وفتحٌ قريبُ . وإذا المَحَاجِبُ ترتوي . وإذا العساكرُ
 غازياتُ . والحصنُ مرتعشُ . والأسوارُ . والسهمُ فاترٌ . والأقفالُ
 هاويةٌ . والنفسُ دَعيّةٌ . والعصيانُ نَجِيّةٌ . والطيرُ مالِكُهُ . نسورٌ
 خاطفاتُ . شعاعٌ . والجمرُ . مِقْبَضُهُ اليَدُ . والأناملُ باسماتُ . ولذّةُ
 اللحظِ . قلوبٌ واجفاتُ . والأنا فوق الأنا . والشعرُ فاتنُ اللفظِ
 والمعاصمُ واثقاتُ . والإسمُ مكرمٌ . والمَحْتَدُ واسماتُ عامداتُ

زاهياتُ . والكل مزدحم والضماير في الأنا . هو الأنا . فلتكوني وليكن .
حرفٌ وحرفٌ . حيٌّ لا يموتُ . أجهشتُ باللفظ صاحتُ : أقولُ
فأندمُ . ولا أبوحُ . فيشتكي الوجعُ . ليلى سهادٌ . والنهارُ . كمنُ
سلاً . وكمنُ شداً . سلوا قلبي غداً . سوا قلبي أصيلاً . لا تسألوني .
ولا تفعلوا . فلو سألتكم . سأكذبُ . ولو فعلتم . سأكرهُ . أن أقولَ
لكم . ما قد قلتهُ . وعرفتهُ . وطويتُ صفحاتِ الهوى . ونسيتُ . أن
أقولَ . إنِّي عريّةٌ . عريّةٌ . عريّةٌ .

تَضْمِين

جَلَسْتُ . وَثَبْتُ فِي الرَّمْلِ الذَّهَبِيِّ . بِأُظَافِرِي . وَأَقَمْتُ عِمَادًا .
وَنَصَبْتُ شَمْسِيَّتِي . كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَبِي . وَجَدِّي . فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ . فِي
الصَّحْرَاءِ . فِي شَوَاطِئِ الْعُشْبِ . وَفِي الْمَرَاعِي . وَعَلَى ضَفَافِ الْعَيُونِ .
جَلَسْتُ . وَنَصَبْتُ . وَانْتَظَرْتُ كَمَا انْتَظَرَ مُوسَى . قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ إِحْدَاهُمَا .
نَصَبْتُ وَاسْتَلْقَيْتُ . وَقُلْتُ لِلشَّمْسِ : عَلَيْكِ . بِمَفْرُشِي أَبْدِلِي مِنِّي
الْغُلَافَ . فَأَبَى أَسْمَرُ . وَجَدِّي أَسْمَرُ . وَالْقَارَةُ السَّمَرَاءُ أُمِّي وَجَدَّتِي .
أَبْدِلِي جِلْدَتِي . اصْبِغِيهَا . أَغْرَابِيَّةً . ذَاتَ أَنْوَارٍ إِذَا انْكَشَفَتْ . حُمَّ
الْغَمَامُ . وَضَاعَ كُتْبِي . وَبَعْضُ قَلْبِي . وَتَاهَتْ الْأَنْظَارُ . وَنَادَى الطِّيفُ :
يَا أَسْمَرُ يَا أَسْمَرُ . هَلْ يَأْمَنُ الْبَحْرَ رَاكِبٌ . هَلْ يَنْزِلُ النُّهْرَ إِلَّا مُغَامِرٌ هَلْ
يَعْلُو الْجِبَالَ إِلَّا مَكَابِرٌ . بِحُورِ النَّفْسِ مَظْلَمَةٌ . أَنْهَارُ الْقَلْبِ غَائِمَةٌ .
جِدَاوِلُ الْخَضِرَاءِ تَبْتَسِمُ . شَوَاطِئُ الْأَنْسِ فِيهَا جَنَّاتٌ مِنَ الْهَوَى . فَاتَنَةُ
الرِّيَاضِ . سَوَاحَةٌ . تُغْرِي . مِنْ بَنِي عُدْرَةِ جَدِّي . مِنْ قَيْسٍ . مِنْ دِيَارِ
الرَّبْعِ . عَشِقْتُ نَفْسِي يَوْمَ عَشِقْتُ كَلِمَاتِي . يَا فُصْحَايَ . هَذَا غِنَاءٌ .
تَهْوَى . أَهْيَمُ بِحَبِّهَا . تَحْتَالُ . أَصْبُو بِلَهْوِهَا . بَغْرَاهَا . فِي مَرْتَعِ اللَّفْظِ .

فِي مَغَاذِلِ اللَّحْنِ . فِي كُلِّ أَغْنِيَّةٍ . هِيَ نَفْسِي . هِيَ نَفْسِي . وَاضِحُ
 اللَّحْنِ . أَعْزَفُ . أَقْوَدُ التَّخْتَ . وَأَمْضِي . شَادِيَا . شَادِيَا . لَكَ يَا عَرِيَّةً .
 أَيْتَهَا الْفَصْحَى . لِسَانِي وَجَنَانِي . أَهْدِيْتُكَ رُوحِي . وَهَلْ قَلِيلٌ . أَهْدِيْتُكَ
 أَنْفَاسِي . ذِرَاعِي وَمُبْسَمِي . وَهَلْ قَلِيلٌ . مَا كُنْتُ أَحْسَبُ . أَنْ قَدْ
 غَفَلْتُ . وَلَقَدْ نَسِيتُ . أَلْفَاظُ الْآخَرِينَ . عَلَامَةٌ عِيَّهِمْ . عَلَامَةٌ جِنْسِهِمْ .
 كَفِّي . ذِرَاعِي . صَدْرِي وَأَنَا مِلِّي . وَكُلُّ مَا فِي جَسَدِي . شَهَادَةٌ
 حُبِّي . وَتُرْجَمَانُ عَوَاطِفِي . لَا شَيْءَ فِي جَسَدِي . لَا شَيْءَ فِي لُغْتِي .
 يُحَرِّكُهُ الْهَوَى . مَا لَمْ يَكُنْ . مِنِّْي الْفَوَادُ . هَائِمًا . بِالْحَبِّ قَدْ نَبَضَا .
 الْجِسْمُ حَمَالٌ لَذَاتٍ بِلا أَمَلٍ . وَالْقَلْبُ إِذَا أَحَبَّ . هَامَ فِي عَشِقِهِ
 الْجَسَدُ . نَفْسِي فَلْتَسْتَجِبْ . يَا لَفْظُ . أَنَّى مُنِّي . بَأَنْتُ . فَجَادَتْ . ثُمَّ
 هَامَتْ . فَتَشَرَّبَتْ صَفْوَ الرَّحِيقِ . رَحِيقَهَا . فَلْتَصَفْ لِي . يَا مَشْرَبِي .
 وَلِتَقُلْ : هُوَ الْفَجْرُ بَازِعًا . هُوَذَا مَشْرَبُ الْأَلْفَاظِ عِنْدَ سُبَاتِهَا . أَجْهَشْتُ
 بِالْبُوحِ . كَنَجْمٍ يَتَوَارَى . بَيْنَ الْكَلِمَاتِ يَسْتَتِرُ . فَيَلْذُّ لِي الْحَدِيثُ .
 مَنْ عَبَثَ الْوَكِيدَ . ثُمَّ أَسَاءَ كُلُّ : حَالِي كَحَالِكَ . أَنْتَ لِي .
 وَأَنَا لَكَ . الْخَلْقُ كُلِّمَةٌ . وَالْوَجْدُ كُلَّمَةٌ . وَالْمَلْبَسُ
 وَالْأَلْوَانُ . وَحَرَكَاتُ الْيَدِ . كُلَّمَةٌ . وَاللَّفْظَةُ الْمَكْتُومَةُ . وَالتِّي تَصِلُ إِلَى
 الشَّفَاهِ ثُمَّ لَا تُنْطَقُ . وَقَوْلُنَا : إِنْني مُمَسِّكٌ . كَقَوْلُنَا : لَا
 أَعْرِفُ . وَإِطْلَالَةُ الْوَجْهِ . وَانْسِيَابُ اللَّحْظِ . كُلَّمَةٌ . كَأَنَّمَا الْعَيْنُ تَغْمِزُ .

وهي لا تَغْمِزُ. والأنامل اليمنى على أظافر اليسرى . و الساعةُ على
المِعْصَمِ تُطَلُّ من ثُخُومِ الثوبِ . والعينُ تُسْرِقُ الوقتَ . والجيدُ إذ
ينحني إلى الكَتَفِ . وابتسامةٌ يقطعها الخَفَقَانُ . ووجنةٌ يتوالى عليها
شحوبٌ واحمرارٌ . وعينٌ تُشْرِقُ لَتَكَادُ تَنْدَمِعُ . والجفنُ مظلةٌ .
وفراديسُ النعيمِ . جادت بِخِلِّ يقرأ الكفَّ . ويُصغي إلى النملِ : بكلِّ هذا
السحرِ . أسَرَّتَنِي . سَلَبَتَنِي . كَفَرَاشَةَ . إلى النورِ . أنَّى صَرَفْتَ السَّيْرَ .
إلى كَبَدِ السَّمَاءِ . في الفضاءِ الرَّحْبِ . قد غزوتِ الكونَ . حتَّى مَلَكَتَهُ .
تُحَرِّرُ الْقَيْدَ . سُودًا وَبَيضًا . إلى السماءِ مَعْرِجُنَا . إلى الشهادةِ نَطْلُبُهَا .
شَهِيقًا زَافِرًا . سَيِّةَ الْوَجْدِ . في المعشوقِ خالصةٌ . ومع الحبيبِ
خُلُودُهَا .

إِفْصَاحٌ

كلما سمعت شعرا أو مَشَيْتُ راجِلاً، كلما أنشدت أغنيةً أو أكلتُ خبزاً. كلما ارتديت ثوباً أو احتسيت شراباً. كلما وضعت على ناظري مِجْهَراً. رأيتُ اللغةَ. حَضَرَتْني اللغةُ. فاجأتني. أفسدتُ مِشْيَتي وغنائِي. نَغَّصْتُ خُبْزِي وشرابي. أيقظتني بالكونِ بالنَّاسِ بالغافلين عنها بالهاتكينِ أعراضها.

رأيتها مع نوح. رأيتُ مَرْكَبَهُ. تَصَوَّرْتُه يُخْتَأُ ملكياً. في الزاد العلني. يُباع ويُشْتَرَى. بأعلى ثمن. فاقتنيته. وَرَصَفْتُ على مدارجه، من قواميس الكلمات، من كل زوجين. حقيقةً ومجازاً. وفاضَ التَّنُّور: اركبي معي أيتها اللغة سَأَحْمِيكَ . . .

يا كلَّ حاضِرِي أيا قَدَرِي . . . أشكوك قسوة العِيِّ. فَمَنْ سِوَاكَ يَبْعَثُ الدِّفءَ في أَوْصَالِي. في الرأسِ سؤالٌ. تَتَشَطَّى الذَّاكِرُهُ. فمن يَغْسِلُ عن قلبي التعبَ. أَسْبِحْ في بَرَكَةِ الجَسَدِ. أُرْسِلْ إِلَيْكَ شُعْلَةٌ من دَمِي. وشَهَقَةٌ نَسِيَتْهَا ذاتُ مَسَاءٍ على صَدْرِي. جاءني بها وَدَعَاها. فَأَتَتْني. مُتَخَفِيَةً. تريدُ فُجَاعِي.

هَاتَفَتْ . بَيْدَ الْمَرْئَاةِ . فَدَوَتْ صَوْرَةٌ . تَنْحَرُ الشَّرِيَّانَ . كُنْتُ أَرَى
الْأَيَّامَ . أَعْدَهَا لَيْلًا لَبِيلٍ . تَطْوِي نَزِيْقَهُ فَأَبْتَسِمُ . وَ الْيَوْمَ هَا أَنَا أَبْتَسِمُ .
لَا تُطْلُ بَعْدَ الْيَوْمِ قِصَائِدُكَ . فَخَيْرُ السَّحَرِ نَفْثَةٌ . مَعْقُودَةٌ . لَا
تَمْلِكُ لَهَا . ذَاتُ الْهَوَى . أَنْ تَتَعَوَّذًا . رُشَّهَا رِذَاذًا . مُمَطَّرًا . مَتَهَاطِلًا .
وَ اخْتَسَمَ عَلَيْهَا بَصْمَةٌ . أَمِيَّةٌ . هِيَ لُغَةُ الْهَوَى . عَارِيَّةَ الْحُرُوفِ .
وَ الْحَرَكَاتِ . وَ الْكَلِمَاتِ . فَهَمَّهُمْ بِهَا . مَتَلَكَّئًا . وَ الْعَنَ دُعَاةَ الشَّعْرِ .
وَ بَعْضَ الْفَصَحَاءِ .

كُنْ كَطَيْفِكَ هَاوِيَا . وَ كَظْلِكَ . لَا تَبْتَعُدْ . لَادَعَا . هَاجِرًا . هِبَاتِ بِلَا
نَدَمٍ . صَمْتُ خَشُوعٍ وَ الصَّدْرُ أَوَاهُ . وَ الدَّمْعُ مِنْ مُقْلَتِي . فِي نَشْوَةٍ
وَهَّاجَةٍ . فِي غَمْرَةِ الْأَشْجَانِ وَ دَعَتْهَا . لُغْتِي . وَ فِي غَفْوَةٍ كَصَفِيرِ هَمْسٍ
وَ كُنُورِ السَّمْعِ أَحْتَاجُهَا أَدْعُو لَهَا . كَالْعَبْدِ يَنَادِي وَ يَنَادِي : أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى
بِرَبِّ الشَّعْرِ وَ لِلْحَبِّ آلِهَةٌ هَلْ مِنْ طَيْفٍ يُجَدِّدُ لِي عَهْدًا وَ عَهْدًا وَ يَقُولُ
لِي : مَا نَارُ لَفْظٍ يَتَجَارَحُ يَتَقَاطَرُ . خَذَنِي إِلَى حِضْنِ الْكَلِمَاتِ . لَادْفَاءَ
فِي غَيْرِهِ . مَلَأَ الْجُفُونَ . وَ فِي الْأَحْلَامِ . أَحْيَا وَ تَحْيَا . لَنَا الْوَفَاءُ . لَنَا
الدُّنْيَا . وَ كُلُّ السَّمَاءِ .

فِي الْكُونِ مَسَالِكُ . لَا يَلْجُهَا إِلَّا وَاحِدٌ . إِلَّا مَرَّةً . إِلَّا سَاعَةً . لَيْسَ
يَدْرِي مَتَى هِيَ تَأْتِي . إِنْ كَانَتْ سَتَأْتِي . فَقَدْ يَنْقُضِي الْعُمُرُ وَ لَا تَأْتِي .
وَ الْحَمْدُ أَلْفُ يَوْمٍ تَأْتِي .

بَتُّ

اصْطَفَتْ الْجُمَاهِيرُ وَاسْتَطَالَتِ الطَّوَابِيرُ. تَزَاحَمُوا. ثُمَّ دَخَلُوا. التَّفُؤُا
بِالْحَلْبَةِ أَدْوَارًا. تَقُولُ: كَعْبَةٌ. ضَجِيجٌ. صَرَخٌ. أَصْوَاتٌ كَالِاسْتِنْفَارِ.
دَقَّتِ النِّوَاقِيسُ. صَعِدَ الْمُتَبَارِزَانِ. عَلَى الْحَلْبَةِ: الْحُبُّ وَاللُّغَةُ. تَعَاقَبَتِ
الْجَوْلَاتُ. قَالَ: أَثْمَرْتُ عَشْقًا. قَالَتْ: وَضَعْتُ شِعْرًا.

مَنْ زَارِعُ الْوَرْدِ. مَنْ صَانِعُ الْبِهَاءِ. مَنْ خَالِقُ الْفِتَنِ؟
لَوْلَايَ مَا كُنْتُ تَحِيًّا. مَا كَانَ شَاعِرًا.

لَوْلَايَ مَا كَانَ سَحَرًا.

بَعْدَ نَزُولِ الْمَطَرِ. بَذَرٌ. نَبَاتٌ. زُرُوعٌ. إِثْمَارٌ وَمَخَاصِبٌ. حَصَادٌ
وَمَغَانِمٌ. زَالَ الْجَفَافُ وَاخْتَفَى الْجَدْبُ وَعَادَ الْمَطَرُ يَسَاقِي الْأَرْضَ
فَتَرْتَوِي.

لَقَدْ أَلَمَ الطَّائِفُ وَذَهَبَ بِمَا ذَهَبَ حَتَّى أَضْنَانِي وَأَنْهَكَ قُؤَايَ وَأَنَا
الضَّعِيفَةُ فِي نَفْسِي. أَقُولُ عِبْرًا. أَسْمَعُ صَوْتَكَ فِي السَّمَاءِ يُوَقِّظُ أَحْلَامِي.
ذَاهِلَةً. صَامِتَةً. حَائِرَةً.

حين تَسْكُبُ في مسمعي كلمات الدّفء أسارع إلى المهد الوثير فأراك
معي نركض على صفحات المطر فَيَنْبُتُ البحرُ أحباّ فتبتسم المرأة
ويضحك الكتاب ويتأوّه الوثيرُ.

ستتشكل كلماتي حين تمسح بيديك جبيني وتشر نظراتك على جسدي
نَدَى وإلهامًا.

فَلَمْ يَكُنْ كتابٌ ككتابها. ولم يكن حبٌّ كحبّها. وشاع الخبرُ بين
الأقوام. فصارت مَضْرِبَ الأمثال فحسدها العقلاء وتمنوا هذيانها. وكان
أول الحاسدين كبير العقلاء وقد أنكر نفسه وعَقَلَ العقلاء.

اليوم آمنتُ أن الكلام يقتلني إذا ما اللفظُ قَلَانِي. أو هَجَرُ. اليوم
أتلو على جميل وعلى المجنون وليّلاه والبُشِينات فاتحةً. وغداً.
باكرا. سأرحل إلى كلماتي. وسأركنُ منها في زاوية. وسأدعو شاهداً
عدلاً. وسأتلو على الكرسيّ خطاباً:

الحبُّ أغنيّةٌ. يجمعها قلبٌ تائهٌ. يضع لَحْنَهَا نبضٌ قاهرٌ.
يؤدّي أنغامها صوتٌ عاشق. يروضُ تَخْتَهَا معلّمٌ ماهرٌ. ثم يُفْشِي
سِرّها لفظٌ ماكر.

عشقتُ الحسنة فوهبتُها كلماتي.
عشقتُ اللغة فوهبتُها حُبِّي وهيامي.
ضاعَ حُبِّي يوم ضاعت كلماتي.

رَيْن

ذتُ الأشعار تكَلَّمْتُ فجرا وطلبتُ من جنود الليل أن يَسْكُتُوا
فَأَصْغَى لها الجمعُ ثم انحنوا فقالت مخاطبةً أُنيسها : ما الذي تريدهُ مِنِّي ،
مالذي جئتَ تطلبُه . فالكونُ أرحبُ من فضائي . ويدُكَ الطُولَى . والكلُّ
حولك : يُحَلِّقُونَ . ويتسابقون . ولكِ يُعْنُونَ . نشيدَ الحربِ وأشعار
الجنون . إلّا أنا . وأنتَ على العرشِ كمالكِ الأرضِ والسماءِ . توزَّعُ
صكوكُ الغفرانِ . وتُعطي الجوازاتِ . وتَخلع الثوبَ على من تشاء . ثم
توقِدُ النارَ . وتَقْتَطِعُ الشعورَ . فَتَنْثُرُهَا سَعِيرًا فالدنيا بِخُورٍ . والعطرُ
مِخْدَارٍ . ويحترقُ العودُ ويتفواح المسكُ ويلتذُّ الخليلُ . وعندها يهْلَلُ
الحفلُ من حولك وتقاطعُ الأذرعُ على النُّحُورِ . فينحني الجيدُ وتصغي
المَسَامِعُ والقلبُ يَتَهَدَّجُ والأناملُ تَزُرُّقُ . خوفٌ وحرقةٌ وانتظارُ .
والكلُّ غائِظٌ والكلُّ مَغِيظٌ والكلُّ يَسْتَبْصِرُ القضاءَ . صولةٌ منك يا
عاصِرَ لُقلُوبٍ . يانافثُ الأرواحِ . وتقفُ أنتَ سلطانًا عتيدا . يصرِّحُ
بالأحكامِ . وتقفُ أنتَ جَبَّارًا زعوقًا . يَعْصِفُ بالحسانِ . ويطولُ بين
وقفتِكَ والكلامِ . سكوتٌ وسكوتٌ . كأنها النَّبْلُ تُصيبُ القلوبَ .
وتقولُ كلُّ لاهِثَةٍ . وتقولُ دون أن تقولَ . وأقولُ . إلّا إنكَ الحَكَمُ .

ليتكَ لا تَعْدُلُ. وكيف يَعدُلُ الحَكَمُ. إني أنا الأُنثى التي لم تَفْزُ
بالسَّبَقِ ولا حَطَمْتُ رِقْمًا بالقياسُ. فكيف لي بالفلاح أَطْلُبُهُ. وكيف لي
بتاج العرش أَحمِلُهُ. كُنْ ظالما وخذني . كن ساحرا. كُنْ سليمانُ . كن
قاهرا لمن سَبَقُوا. كن مُنصفا للتي تَلْعَنُ العَدْلَ وخذ بيدي . كن
جائرا. وكن لي فأنتَ أَنْتَ العادلُ.

لو كنتُ أَعْدُلُ ما عَشَقْتُ. لو كنتُ مُنصِفاً ما جلستُ على
العرشِ. فأنا بِجَوْرِ الحُبِّ أَحتَكُمُ. وأنا من العدلِ أَنتَصِفُ. فالعدلُ عدلي.
وحكَمُ السماءِ. ولا يعرفُ العشقُ إِلَّا من ظَلَمَ. إني قد حَكَمْتُ عليكِ
وحكَمي نافذٌ. وحكَمي قاطعٌ. لا يُستأنَفُ. والحاكِمونَ والقُضاةُ
والمُرافعونَ في مملكةِ العشقِ والذين بقانونِ السماءِ يَنطقونَ. إليكِ
سيقولونَ. إني قد حكمتُ وحكَمي قاطعٌ. لا يُستأنَفُ. والهاائمونَ
في ربوعِ الوجدِ وحمأةِ العرينِ. وأهلُ الرباطِ. وحرَّاسُ الثغورِ سَيَتَلُونُ
ظَهيرَ الحَكَمِ وحيثياتِ القَطْعِ. وسيقولونَ هذه استقالتُنا من الشعرِ.
وهذه إجازتنا. من حقوقِ الكلماتِ. فكلامنا اليومَ كلامٌ جَديدٌ.
ومُعْجَمُنا اليومَ قاموسٌ جَديدٌ. سلطانُ الشوقِ كعشاقِ المَرايا. وأصواتُ
المُحِبِّينَ كرسائلِ المَراودينَ. مِن فاتنينَ. ومفتونينَ. حولَكَ قامتِ
مَلامحُ الجريمةِ. ومنكَ قد صَدَرَتْ. فيالقُ التَّهمةِ. وعليكِ حيثياتُ
الإدانةِ. عنكَ قد حُرِّمَتْ ظُروفُ التَّخفيفِ. إلى قضاءِ الحبِّ

فَاسْتَسْلِمِي . عَلَيْكَ قَدْ حَكَمُوا . حَبًّا مُؤَبَّدًا . فَادْخُلِي الْقَلْعَةَ وَجُرِّي
أَغْلَالَ قَيْدٍ يَحُوطُ بِكَ . إِلَى الْأَذْقَانِ . وَعَلَى الْمَعَاصِمِ . وَالْخَصْرِ
مُسْكَلٌ . وَقُيِّدَتْ الْخُطَى . وَتُحْسَبُ الْأَنْفَاسُ . أَفْلا تَتَّبَتِّلِينَ . أَفْلا
تَتَأَوَّهِينَ . لَا يَعْرِفُ الْحَبَّ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ . وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ بَكَى .

2000-2001

حَرْفٌ

الكلامُ اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ جاءَ لمعنى وحرفٌ ليس كسائر الحروف
وحرفٌ يُدركه الحسُّ وحرفٌ لا تؤديه الصَّفةُ. في الليلةِ البَدْرَاءِ تَغِيبُ
الكلماتُ. أنا الحرف الذي فرّ من قيدِ الكَلِمِ. ريشةٌ ذهبيّةٌ. ترسمُ ألفاظي
بألوانِ الشوقِ، على صفحاتِ الأَلَمِ. تُقَيِّدُ أنفاسي ثم تُطْلِقُهَا. كما
الآهاتِ. في الهواءِ الطَّلَقِ. على سَجَلَاتِ الأَلَقِ. نَادِي أَرْكَبُ إِلَيْكَ.
نَادِي. أَيَا حُسْنِي أَيَا مُنِيَّتِي. أَشْدُوكَ أَغْنِيَّةً. أَرَا قِصَصَ إِيقَاعٍ يَخْطِفُ
الأَبْصَارَ بَرَقًا. فَأَنَا الصَّوْتُ إِذَا الصَّوْتُ هَمَسَ. نَادِي وَأَصْرُخُ. فزَمانُ
اللَّفْظِ وَلَيَ واحْتَجَبَ. لَكَ الرُّوحُ. لَكَ الْجَسَدُ العَتِيقُ. لَكَ مِنِّي مَا
يَنْبُضُ وَمَا قَدْ سَكَتَ. هُزْنِي بِصِيَاحِ صَوْتِكَ. فَأَنَا الفَجْرُ إِذَا اللَّيْلُ
غَسَقَ. اسْكُبِ السَّيْلَ عَلَى جَسَدِي لِتَسْتَلَّ مِنْ غَمْدِي سَيْفَ الأَرَقِ.
وَتَغْسِلَ أَوْتَارِي العَطَشَى. وَتُرْسِلَنِي. طَيْرًا يُحَلِّقُ فِي الأَفْقِ. خُذْنِي أَنَا
الطَّائِرُ. خُذْنِي عَلَى الرُّبُوبَةِ الخَضِرَاءِ. ضُمَّنِي وَأَصْرُرْ. لَا تَبْتَعدْ عَنِّي.
وَلِيَكُنْ لَيْلُكَ كَأَسِي. إِنِّي عَلَى سَفَرٍ. فِي لَيْلَةِ الغَسَقِ. إِنِّي إِلَى رَحْلَةٍ
مِنْ وَرَاءِ الشَّفَقِ.

عندما عرفتُكَ كَانَ مِنْ حَوْلِي فَرَاغٌ . كَالهُوَّةِ السَّحِيقِ . أَتَجَلَّى عَلَى
حَافَةِ مِنْ بئرٍ . أُمْدِي يَدِي . أُنْسَاحُ إِلَى الْأَعْمَاقِ . كَأَنِّي إِلَى الْخُلُودِ . بِلَا
قَرَارٍ . بِلَا زَمَنِ . بِلَا حَدُودٍ . مَدَدْتُ يَدِي . أَمْسَكْتَنِي مِنْ ذِرَاعِي .
تَعَلَّقْتُ بِجِسْمِكَ . أَحْبَبْتُ نُجْدَتَكَ . هَمَمْتُ بِمَلْءِ الْفَرَاغِ . وَحَدَّثْتُ
نَفْسِي . بَغِيرَ مَا فِي نَفْسِي . حَتَّى انْطَمَسَ الْفَرَاغُ . جَاؤُوا إِلَى الْبئرِ
السَّحِيقِ . رَدَمُوهَا . فَارْتَدَمَتْ . عَلَى الْأَرْضِ مِنْ جَدِيدٍ . وَضَعْتُ
أَقْدَامِي . صَلْبَةً وَجَدْتُهَا . صَخْرِيَّةً . شَكَرَا لَكَ أبا المَكَارِمِ . شَكَرَا . قَدْ
امْتَلَأَ الْفَرَاغُ . شَكَرَا وَحَمْدًا . يَا مُوقِدَ الْأَنْوَارِ . يَا مَطْفِئَ الشَّمُوعِ .
يَا مَالِيَّ الْفَرَاغِ .

ذَاتَ سَفَرٍ طَرَقْتُ بَابَ الْكِبْرِيَاءِ . تَوَسَّلْتُ ذَاتَ أَلَمٍ مُنَاجِيَا : كَيْفَ
الْكِبْرِيَاءُ ؟ مِنْ وَرَاءِ السِّتَارِ . ذَاتَ بَهْجَةٍ . نَسِيتُ الْأَلَمَ . قَفَلْتُ رَاجِعًا .
وَفِي يَدِي . بَاقَةٌ أَزْهَارٍ . كَأَنَّهَا . أَزْهَارُ عُرُوسٍ . تَخَضَّبَتْ أَشْعَارُهَا . لَيْلَةً
عُرْسِيهَا . بِأَوْجَاعِ الْبَهْجَةِ . وَحِنَاءِ الْأَلَمِ . فَهَلْ تَتَوَاصَلُ الْأَرْوَاحُ دُونَ
الْأَجْسَادِ بَعْدَ أَنْ التَّحَمَّتْ الْأَجْسَادُ ؟ هُوَ التَّأْلُهُ أَوْ إِذَانٌ بِالْوَدَاعِ . فَبَكَى
السَّائِلُ .

كَيْفَ تَسْتَقِرُّ النُّفُوسُ عَلَى النُّفُوسِ .
سُئِلَتْ الْأَفْلَاقُ فَلَمْ تُسْجَبْ .
وَسُئِلَ الْإِنْسَانُ فَقَالَ : إِنْ سَكَنْتُ .

ثُمَّ سُئِلَ أُخْرَى فَقَالَ : إِذَا احْتَدَمْتُ .

وَعَظِبْتُ مِنْ انْتِحَالِهِ السَّمَاءُ .

فَسَأَلْتُ الْأَفْلَاكَ أَدَمَ فَقَالَ :

السَّاكِنُ عَبْدٌ ، وَ الْمَسْكُونُ عَبْدٌ ، وَ الْعَبْدُ عَلَى الْعَبْدِ .

وَسَأَلْتُ الْأَبْرَاجُ حَوَاءَ فَقَالَتْ : إِذَا السَّاكِنُ مَسْكُونٌ فَصَحْوٌ

وَاسْتِسْقَاءٌ .

وَإِذَا السَّاكِنُ سَاكِنٌ وَ الْمَسْكُونُ مَسْكُونٌ فَمَوْجٌ يَمُورُ .

فَادْهَمْتُ السَّمَاءُ حَتَّى الرَّمِيمِ وَأَطْبَقْتُ الْأَفْلَاكَ وَأَقْفَلْتُ

الْأَبْرَاجُ وَاحْتَمَى حُرَاسُهَا .

فَقَالَ الْكَاهِنُ : إِعْصَارٌ نَاسِفٌ .

وَقَالَ الرَّاهِبُ : عَارِضٌ مُمَطَّرٌ .

وَقَالَ السَّاحِرُ : غَيْثٌ نَافِعٌ .

وَقَالَ السَّاكِنُ : رَجَّةُ الزَّلَازِلِ .

وَقَالَ الْمَسْكُونُ : بَرْدٌ وَسَلَامٌ .

سَمَاعٌ

حَدَّثَتْ ذَاتُ الْأَشْجَانِ قَالَتْ : رَأَيْتُ لَيْلَةً فِي الْمَنَامِ أَنِّي - وَنِسَاءٌ مِثْلَاتِ - قَدْ اجْتَمَعْنَا حَوْلَ آسِرِ الْقُلُوبِ مُحَلِّقَاتٍ وَلَمْ أَكُنْ قَدْ انْفَرَدْتُ بِهِ ، فَتَذَاكَرْنَا الْمَحَبَّةَ وَأُورِدْتُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مَا حَفِظْتُهُ . قَالَتِ الْأُولَى : حَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ قِيَامُكَ مَعَ مَحْبُوبِكَ بِخَلْعِ أَوْصَافِكَ . وَقَالَتِ الْآخَرَى : أَنْ تَتَكَلَّمَ كَلَامَ عَاشِقٍ فَنِيَّ فِي عَشْقِهِ وَخَرَجَ عَنْ أَوْصَافِهِ إِلَى الْمَحْبُوبِ . وَقَالَتِ الثَّالِثَةُ : مِيلُكَ إِلَى الشَّيْءِ بِكُلِّبَتِكَ ثُمَّ إِثَارُكَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَرُوحِكَ وَمَالِكَ ثُمَّ مُوَافَقَتُكَ لَهُ سِرًّا وَجَهْرًا ، ثُمَّ عِلْمُكَ بِتَقْصِيرِكَ فِي حُبِّهِ .

ثُمَّ انْبَرَتْ مِنَ الْجَمْعِ وَاحِدَةً كُنَّا نَنْظُنُّهَا كَالْخُرْسَاءِ - وَكَانَ الْآسِرُ يَرْقُبُ - فَقَالَتْ : مَا يَسِيطِرُ عَلَى الْوُجْدَانِ مِنْ آيَةِ الْمِيثَاقِ حَتَّى يَكُونَ الْوُجُودُ لِلْمَحْبُوبِ . عَبْدٌ ذَاهِبٌ عَنْ نَفْسِهِ مُتَّصِلٌ بِذِكْرِ مَحْبُوبِهِ ، قَائِمٌ بِأَدَاءِ حَقُوقِهِ ، نَازِرٌ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ ، أَحْرَقَتْ قَلْبَهُ أَنْوَارُ هَوِيَّتِهِ وَصَفَا شُرْبُهُ مِنْ كَأْسِ وَجْدِهِ ، فَإِنْ تَكَلَّمَ فَبِالْمَحْبُوبِ ، وَإِنْ نَطَقَ فَعَنْ الْمَحْبُوبِ ، وَإِنْ تَحَرَّكَ فَبِأَمْرِ الْمَحْبُوبِ ، وَإِنْ سَكَنَ فَمَعَ الْمَحْبُوبِ .

وَهَمَّتْ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَخَشِيتُ ، وَأَنَا بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجَاءٍ هَتَفَ

الْأَسْرُوقَالَ وَكَأَنَّنَا لَمْ نَكُنْ خَالِصَاتِ : هَلَّا كَفَفْتُنَّ عَنِ الْمَحَبَّةِ لَا
تَسْمَعَهَا النَّفُوسُ قَتَدَعِيهَا . الْمَحَبَّةُ هَبَّةٌ لَا يَكْتَسِبُهَا الْعَبْدُ بِالْمَنَازِلَةِ وَمَا
لَا يَخْضَعُ لِلْكَسْبِ يُخْشَى مِنَ الْمَذَاكِرَةِ فِيهِ حَتَّى لَا تَطْلُبَهُ النَّفْسُ أَوْ تَدْعِيَهُ .
فَأَفَقْتُ وَشَفَتَايَ تَرْدَدَانِ : قَدْ قَالَ كُلُّ شَيْءٍ .

وَيُرَوَّى أَنَّ ذَاتَ الْأَشْجَانِ قَدْ أَخَذَهَا فِي غَسَقِ اللَّيْلِ أَرْقٌ ذَهَبَ لَهَا
بِنَصْفِهِ وَإِذْ هِيَ بَيْنَ فِكْرٍ وَمَنَامٍ تَسَلَّلَ إِلَيْهَا بَيْنَ السَّائِرِ طَيْفٌ قَالَتْ خِلْتُهُ
مَوْلَى السَّلَامِ رَسُولَ الْكَلِمَاتِ فَنَاجَيْتُهُ .

يَا شَاعِرًا قَدْ تَغَنَّى بِشَعْرِهِ الشُّعْرَاءُ . يَا سَاحِرًا . يَا قَاتِلِي . يَا مَالِكًا .
قَدْ تَسَلَّى بِظِلِّهِ الْأَمْرَاءُ . يَا صَائِغًا بِاللِّفْظِ أَحْلَى الْكَلِمَاتِ . يَا نَاطِرًا
عَقْدًا فَرِيدًا . يَا نَاقِشًا . يَا نَاحِتًا . بَيْنَ أَلْمَاسٍ وَجُحَانٍ . سَأَرْتَادُ لَكَ .
سَأَنْسَابُ لَكَ . وَأَذِيعُ يَوْمًا عَلَى الْمَآذِنِ . وَأَشُقُّ الصَّفُوفَ . وَ الْقَائِمِينَ .
وَأَدْعُو الْجَمْعَ وَمَنْ مَعِيَ . تُؤْبُوا مَعِيَ . هَذَا مَلَائِكُ الْهَائِمِينَ . وَبَعْدَهَا يَوْمًا
فِيَوْمًا . سَتَأْتِينِي . سَيْفُكَ الْأَرْضُ . وَالْخَنَاجِرُ تَخْتَفِي . وَالشَّعْرُ مِنْكَ .
مَدْحُورٌ . وَأَنَا الَّتِي . سَتَشْدُّ عَلَى مَعَاصِمِكَ الْوُثَاقَ . وَعِنْدَهَا سَأَهْمِسُ
لَكَ . يَا فَارِسِي . يَا أَسِيرِي . هَذَا جَوَادُكَ فِي يَدِي . حِصْنُ الْوَعَى . وَمَرَمَى
النِّزَالِ . عَلَيْكَ بِي . عَلَيْكَ بِمَنْ قَدْ أَسْرَكَ . فَإِنْ كُنْتَ يَوْمًا طَاعِنًا . وَإِنْ
جَاءَكَ الظُّمَأُ . أَوْ شَدَّكَ الْوَجْدُ إِلَى الْقِتَالِ . فَهَازِي أَنَا . فِيهَا النِّزَالُ . وَفِيهَا
الْمُقَامُ . الشَّعْرُ بَيْتِي . وَ السَّجُونُ قَصَائِدِي . وَأَنْتَ هُنَا سَجِينُ

الكلماتُ. فِدَاكَ الرُّوحُ تَزْهَقُهَا. فَجْرًا. وَصَبْحًا. وَمَسَاءً. وَالرُّوحُ
مَنْسَلَخٌ. وَالْبِرَازُخُ تَنْتَقِي. وَالحِصْنُ مُنْفَتِحٌ. يَثُوبُ بِحُكْمِهِ. وَيَطْلُبُ
لَكَ. أَنْ تُعِيدَ الْقَتْلَ دَوْمًا. يَا قَاتِلًا. يَا زَائِرًا. يَا مُقِيمًا فِي أَضْلُعِي. إِنِّي
فِدَاكَ وَقَدْ حَكَمْتُ عَلَيْكَ. إِنِّي فِدَاكَ وَالحُكْمُ حُكْمٌ مُؤَبَّدٌ : أَنْتَ الْقَاتِلُ
يَوْمًا. أَنْتَ الْقَاتِلُ دَوْمًا. إِنِّي فِدَاكَ وَعَلَى الْمَآذِنِ صِيحْتِي : غَفَرْتُ لَكَ.
غَفَرْتُ لَكَ.

فَاصِلَةٌ

قلت : أنا اللغة يتكلمونني ولا أبثُّ أحدًا شكاتي . أنا اللغة . أنا
الأنثى . إني كَحَوَاءَ تَشْتَدُّ وتُمعن في الشدة . تُقاومُ نفسها وتُبدي غيرَ
ما تُضمِرُ . تقولُ عنها أُبَيَّةٌ نَافِرٌ . تقولُ عنها فضيلةٌ خالصةٌ . يحادِثها
الشیطانُ فلا تَسْمَعُ . ويتَغافلُ عنها الأملأُ فتدعوهم فيُخجلهم
دعاؤها . حتى إذا ما هفا حسها ورقَّ منها الشجى وخفق القلبُ نابضا
مُتَدَفِّقًا وحادَتْتُها النَّفْسُ على وَجَلٍ واشراً بَ منها الجيدُ مُقَاتِنًا وطالَ
انتظارها فلم تَدْرِ أساعيةٌ أم مطلوبةٌ أرغبةٌ أم منسيةٌ وجاءها اللَّحْظُ
بهمسةٍ ذَهَبَتْ شدَّتْها كأن لم تكن وتسارعت منها الخُطى تُسابقُ المِناديَ
وما هي إلا ومضةُ البرقِ إذ تَتَكشَّفُ ، تتهاوى ، تُسَلِّمُ النَّفْسَ وما
بالنفسِ ، تتعرَّى ولا يُخجلُها العُرى . فما أسرع أن تَتَعَرَّى التي
اشتَدَّتْ واستمسكتُ . ما أعجلَ أن تتكشفَ ، تتهاوى . وإذا تجلَّى
المغمورُ الذي كان على الأنثى فما أعسرَ أن يَحْتَجِبَ وما أبعد أن
يَتَوَارَى ، تذهبُ الأزمان وتأتي الدهور وتتكاثر جبالُ الأعطية وفي
لحظةٍ ، في همسةٍ ، بغمزةِ الطرفِ - إذا شاء سيدها - تسيلُ الجبالُ والأقنعةُ

وشامخُ الرّواصي كأنها الثلجُ فجاءهُ لهيبٌ شواظٌ .

أيتها اللغة ، أسراري ومكامني ، ماذا فعلتِ بالذي قلتِ إليك ، هل
تلوته وهل رتلتي حرفهُ ترتيلاً أم هل قلتِ : أصابه الشعرُ . ضمّيه إلى
صدركِ ضمةً تُذيب مدادَهُ فيتسلّل إلى القلب الرقيق بين أحناء الدّفء
الوديع مطلاً على الجمرِ تَفنّي الأكوان ولا تخبؤ نيرانهُ .

أيتها الكلماتُ : متى توكلتِ على الحيّ الذي لا يموتُ وسميتِ
باسم ربّ العزة والملكوتِ وطويتِ المكتوبَ ودعوتِ بالقهرِ والجبروتِ ؟
إن للكلام جلالاً وعليه مهابةٌ كعظمة السلطان يركبُ الراحلة
يخترق المفازات ويَجُنُّ عليه الليلُ فلا يتزوّد ولا ينام حتى يكون له
صوت به بُحّةٌ تعترّيها حشرجةٌ فيتأبى ثم يتأله ثم ترتجف
شفتاه مردداً :

المدادُ عصيٌ واليراعُ على الإباءِ وينبلج من ثغرها النورُ وتساءل من
أتاها : كيف أنت قبل أن تراني . فيقول : كما كنت أكونُ ، أسعارٌ
ومهورٌ ، أبتاعُ من الهوى وأبيعُ ، صفقاتٌ بلا خسرانٍ ، وكلُّ بائعٍ
ويشتري ، وربّاتُ الخدورِ . ومن الكلام ما سحرُ ، ومن السحر ألوانٌ
تصدّقُ وألوانٌ تُداري ، ويجلو الشعرُ أستارَ النفوسِ ، حدّثيني يا ابنة
النورِ عن سرِّ البلاءِ ، واكثمي السرَّ عن ماضٍ توَلّى ، واصدحي بما
هو آتٍ . قالتُ : أنساك يوماً فلن أراكُ . قال : هكذا قالت حواءُ ، وهكذا

روى الرواة عنها ، كل البنات كأمهن ، إلا التي بأنيس الروح قد آمنت .
 قالت : بل سأتلو صفائح الذكرى وأقول : دَعْ مَنْ تَلَاهَا وَهَاتِ مَا هُوَ آتٍ ،
 وَسَيَقْدِمُ الضَّيْفُ وَتُرْصَدُ الْآهَاتُ . قال : فَلِمَ اللَّفْظُ عَلَى اللِّسَانِ
 وَ الصَّدْرُ قَدْ ضَاقَ بِهَا لَا يَطَاقُ . قالت : أَحَبُّكَ حُبَيْنٌ ، حَبُّ الْهُوَى
 وَ حَبُّ عَلَى قَدَرِي ، لَعَبْتُ لَهُ وَلَا أُرْتَوِي وَقُلْتُ : سَحَابٌ عَابِرٌ وَغَيْثٌ لَا
 يَنْبِي . فامتدت السماء وَتَقَاطَرَ الصَّخُورُ وَانْفَجَرَ الْغَمَامُ . قال :
 وَشَأْنُكَ مَعَ الَّذِينَ عَرَفُوكَ . قالت : كُنْتُ أَصَادِفُ الرِّجَالَ وَلَا رِجَالَ ،
 أَتَمَلَّى وَيَتَسَارَدُونَ ، أَحَبُّ أَلَا يَأْتِي الرَّجُلُ فَيَأْتُونَ ، وَكُنْتُ فِي نَفْسِي
 أَتْلَهُ وَأَقُولُ لِلوَاحِدِ مِنْهُمْ : سَأُنْسَاكَ مَا ذَكَرْتَنِي ، وَسَأُلْقَاكَ مَا
 نَسِيتَنِي ، أَفَلَا تَفْعَلُ . قال : كَذَا كُنَّ مَعِي ، تَشْتَدُّ الْأَبْيَةُ النَّفُورُ يَوْمًا
 ثُمَّ إِذَا هِيَ عِنْدَ مَنْفُوثٍ ، يَطِيبُ فِيهِ الْمَقَامُ وَالْوِزْنُ خَفِيفٌ ، فَتَزَاوَرُ
 النَّفْسُ عَنْهَا ، وَيَطُولُ الْجَهْدُ يُدَافِعُهَا ، وَيَشْتَدُّ الْعَنَاءُ . وَ الْمَلْكَ .
 وَرَوَائِحُ الْجَسَدِ . حَتَّى لَقِيتُكَ . قالت : لَقِيتُ الشَّعْرَ وَمُسْتَلِينَ الْكَلَامَ .
 قال : وَفَعَلَ الْفَاعِلُ يَحْفَرُ الْأَجْرَامَ خُدُودًا فَتَسِيلُ النَّفْسُ سَيْلَانَ الْهُوَى
 كَأَنَّهَا الْغَيْثُ الرَّدَّادُ . قالت : أَفَلَا تَخْشَى الْفِرَاقَ . قال : يَوْمٌ لَا تَتْلِفِينَ وَلَا
 تَتَوَجَّعِينَ وَيَوْمٌ تَخْبُو فِي دِيوَانِكَ نِيرَانُ كَسْرِي . قالت : قَلْبٌ وَجَلَّ
 وَمَعَاصِرٌ مِنْ دَمِي . قال : هُوَ الْعَشْقُ وَهُوَ الرَّدَى . قالت : فَأَنَا الْفَانِيَّةُ .
 قال : حَلَّتْ لَكَ حِمْلًا وَشَقَّقَتْ عَلَيْكَ ثُمَّ رَفَعَتْ الْمَرَافِعَ وَسَافَرَتْ .

لَوْحٌ

أيُّهُ المتكلِّمونُ . أيُّها السامعونُ . يا سَعَاةَ البريدِ . الكلماتُ لعبتي .
وغوايتي . أعابْتُ بها الأثني . وأقولُ لها إني مُعابثٌ . فَتَقْبَلُ عِثِّي . ثم
تُذَمِّنُ عِثِّي . وَلَا أَنْفَكَ أَقولُ لها إني أرْتَبُ الكلماتُ . وأُسَوِّي مَقَاتِنَ
اللفظِ . ولاشيءَ من وراء اللفظِ . ولا تفتأُ تُمْنَعُنِي فِي قَبُولِ اللفظِ . وحبِّ
اللفظِ . حتَّى تَنْسَى صاحب اللفظِ . وإذا أنا بالكلماتُ . آتِي إلى ذات
الجمالِ . وأقولُ . وقعتُ في شرك لفظي . فصَدَقْتُ نَفْسِي . فليست
بعابثُ . فتَقْسِمُ هي أَنِّي عابثٌ . وإذا اللغةُ بصاحبها . وإذا اللفظُ بقاتله .
واصفٌ وموصوفٌ . كفاتنٍ ومفتونٌ .

أقولُ مسائلًا . هل أنا آثمٌ . فتقولُ . لا . وجمال اللفظِ . أقولُ . لا
أعرفُ الهوى . تقولُ . لذيذٌ كلامُكَ . جميلٌ خِداعُكَ . فاتنٌ يُغري .
وتمضي الأيامُ . وأطلبُ إجازتي . وأمسِكُ . فتبدأُ الرحلةَ الأخرى .
مَقَاماتٌ . شَدُو رُخيمٌ . أُسْتَنْفِرُ ثَمَالَةً من كأس العِزَّةِ . فلا أفلحُ في
دحر الكلماتِ . أصيبُ مَقَاتِلَ الإباءِ . فتترامى . أسخو بفتات اللفظِ .
مهترئًا لَوَثَّتُهُ الشِّفَاهُ . متراخيًا بَلَلَهُ الرِّضَابُ . وأمضي .

ويوما . مَلَكْتُ الكَلِمَاتُ . فَقَصَدْتُ طَيِّبَ الذَّاكِرَةِ . وَطَلَبْتُ الدَّوَاءَ
لِلذَّاكِرَةِ . فَأَعْطَانِي وَصْفَةً : فَتَاكَةً . وَصَفَةً لِمَحْوِ الذَّاكِرَةِ . ارْتَحْتُ مِنْ
الذَّاكِرَةِ . غَيْرَ شَيْءٍ وَاحِدٍ . ظَلَّ فِي الذَّاكِرَةِ . أَنَّ طَبِيبِي قَدْ عَرَفَ يَوْمًا .
بَعْدَ مُصَابِهِ فِي حُبِّهِ . كَيْفَ تُمْحَى الذَّاكِرَةُ . وَلَمْ يَنْسَ . مِنْ ذَلِكَ
الْيَوْمِ . مَوْتَ الذَّاكِرَةِ .

أَخَذْتُ قَامُوسِي . وَكُلَّ مُعَاجِي . وَسَافَرْتُ بِهَا بَعْدَ الْعِلَاجِ .
مُسْتَجِمًّا . فِي غِيَابِ الذَّاكِرَةِ . وَيَوْمًا . وَالشِّتَاءُ بَثْلَجِهِ . فِي أَوْجِ عِزَّتِهِ .
وَنَحْنُ فِي غُرْفَةٍ . عَلَى الْهَضَابِ شَاهِقَةٍ . مِنْ جِبَالِ الْأَرْضِ . وَفِي تَلَالِ
السَّمَاءِ . وَنَوَافِذِ الْبُلُورِ تَحْجُبُنَا . وَدَفَاءُ الْبَيْتِ نَصْنَعُهُ . بِالثَّلْجِ نَهْزَأُ .
بِالْأَمْطَارِ . بِالسُّحُبِ . نَرْنُو إِلَى الْكُونِ . نَرْنُو إِلَى كِبَدِ السَّمَاءِ . وَنَقُولُ . فِي
صَمْتٍ . لَا شَيْءَ بَعْدَ الْيَوْمِ يَفْضُلُنَا . إِنِّي . وَلَغْتِي . فِي الْمَمْنَى .
الْقَصِيِّ . وَلَا عُنِي مِنَ الْأَنْوَاءِ يَقْتَرِبُ .
أَيْتَهَا الْكَلِمَاتُ .

لَيْسَ فَضِيحَةً حُبِّي . لَيْسَ فَضِيحَةً عَشْقِي وَشَبَقِي . حِينَ أَخْلُو .
حِينَ أُرْكَنُ . حِينَ أَغْدُو . وَحِينَ أَرْوَحُ . عَلَى لِسَانِي . وَبَيْنَ الشِّفَاهِ . أَنْتِ
وَحَدِّكَ فَضِيحَتِي .
رَدَّتْ فَقَالَتْ :

لَا تُفْشِ سِرِّي . سِرِّ حُبِّي . سِرِّ لَهْفِي . لَا تَمْشِ عَلَى حَافَتِي . لَا

تَبَحُّ بِمَكَامِنِي . بِجَسَدِي . أَنْتَ جَسْرِي وَمَسَالِكِي .
لَنْ أَقُولَ شَيْئًا . لَنْ أَبُوحَ . فَلَسْتُ بِخَائِنٍ . هَلْ تَأْذِنُ بِهِمْسَةٍ . أَيَا
لَعْنَتِي . الصَّيْفَ ضَيَّعْتَ الْجَسَدَ . الصَّيْفَ ضَيَّعْتَ الْجُسُورَ .
لَوْ جِئْتُكَ كَامِلًا . مَا أَحْبَبْتَنِي . تَمَمِّي التَّمَالَا . ثُمَّ قُولِي .
صَنِيعَتِي . أَنَا الْفَنَانَةُ . أَتَيْتُ إِلَى اللَّوْحَةِ الْمُثَلَّى . فَعَبَدْتُهَا . وَلَمَّا
اسْتَقَامَتْ . بَعْدَ لَايٍ وَشِدَّةٍ . وَحَسِبْتُ أَنِّي الصَّانِعَةُ . وَظَنَنْتُ أَنِّي الْمَالِكَةُ .
اسْتَوَى الْمَاءُ وَالتَّمَالَا وَرِيشَتِي . وَوَجَدْتُني . أُسِيرَةً فَتًى . وَإِلْهَامِي .
بَلَغْتُ بِهِ النُّهَى . بِالشَّعْرِ . رَوْضَتُهُ . فَيَا عَجَبًا . كَيْفَ اسْتَقَامَ الْلفْظُ . بِيَدِ
النَّحَاتِ . كَمَعَاوِلِ النَّقْشِ . كَمِبَضْعِ الْجِرَاحِ . وَإِذَا أَنَا . فِي الْفَنِّ هَائِمَةٌ .
أَحْبَبْتُ فَتًى . فَعَبَدْتُهُ . نَذَرْتُ لَهُ عُمْرِي . وَأَحْلَلْتُ لَهُ زَمَنِي . فَلَا
فَقَدْتُكَ يَا زَمَنِي . وَلَا حُرْمَتُكَ أَيَا فَتًى وَيَا أَمَلِي .

مَدِّي

أيها الشعرُ. أيتها الحروفُ. أيها كلماتي . سيأتيكُنَّ يوماً . من
يُنَظِّفُ القصيدةَ . من يَصْقُلُ البَرْدِيَّ . من يطهر سَنَمَ الأَقْصَابِ .
فقد ضاع مني قلَمي الذَّهَبِيُّ . ضاع منِّي . أضعته . أتلفت نُسْغَهُ .
لَوَّثْتُ مَدَادَهُ . فعدتُ إلى اللُّوحِ . يوم كنتُ كالأطفالِ . أخطُّ وأمحو .
ويدي مُكَلِّطَةٌ . بالكِلْسِ بالطِّينِ بالأغبارِ . ومؤدِّي كالعرَافِ يقول
مستبشراً . ستَنجَحُ يا ولدي . ستَنجَحُ يا ولدي .

رُحْمَاكَ يَا أَبَتِي . عَلَّمَتْنِي . وظننتُ أَنِّي ناجِحٌ . فأغدقتُ
بالإكرامِ . وجودكُ لا ينتهي . وأعطيتُ مؤدِّي . كلَّ السَّخَاءِ . وجئتُ
للعرَافِ . هازئاً ومصدِّقاً . وعانقتُ قولاً قد بدا . كالنُّبوءَةِ صالِحاً . أَنَّ
ابنَكَ ناجِحٌ . فحمدًا . لربِّ العالمينَ . أَنَّكَ غائبٌ .

كنتُ كالطائرِ . يلازم الأقفاصَ . حتى أَحَبَّهَا . ويوما . خرجتُ
محلَّقاً . وهجرتُ المساجنَ . وودَّعتُ مساكني . وقلتُ . بلا عودة . فالأفقُ
رَحْبٌ . وطلقُ . ومشاعري في عُرْسِهَا . زاهيةٌ . بيضاءُ . بأجنحةِ
خَفَاقَةٍ . وركبتُ البحرَ . بحرَ الكلامِ . وأمسكتُ كالملاحِ رايةَ مقودي .

وأطلقتُ إنذارا . كأصواتِ المدافعِ حلَّ أمامها . ضيفُ "أمير" . تُدوي
لَهُ . بالأفراحِ صارخةً . ومن لُجَّةِ الأبحارِ . تسَلَّلَ مَرَكَبِي . على
جَنَبَاتِ الشعرِ . وحدوَّ صخورهِ . هَبَّتْ رِيَّاحٌ . واستشاطَ الموجُ .
فالشَّراعَ ممزقٌ . والعوامدُ فُرِطَتْ . والرَّوَّاسِي تَزَلْزَلُ . على الضَّفافِ .
تَكسَّرُ زورقي . سأريثُك يا زورقي . سأذكُرُ ما حَيَّيتُ سعادةً . قلتُ يوما
للورَى . خذوا الدنيا . وهاتوا زورقي .

سأريثُك يا أبتِي . سأريثُ مؤدِّي . سأريثُك يا نفسُ . بلوعةٍ . حرَّى .
أنِّي لم أَصُنْ . شراعا سابحا . رحماك يا أبتِي . فطفلكَ راسبٌ . في البحرِ .
وفي امتحانِ اللفظِ . طفلكَ راسبٌ . قد حاولَ مرةً . ألا يكونَ مكابرا .
تَأَنَسَ بِاللَّفْظِ . وقالَ لعلني . أكونُ ملاحًا على مياهِ النَّهْرِ . قبلَ
المُحِيطِ . محبًّا لا يَنِي . فأحمالُ أرضي . أناختِ أَظْهُرِي . رحماك يا
أبتِي . فطفلكَ راسبٌ .

قد كساني اللفظُ يوما . لوحةً . فنيَّةً . من غابرِ الأحلامِ . جاءت
رسومُها . بعطوَرِ صوتِ فاتنٍ . فسويَّتُها . ونقشتُ لها الألواحَ . من
أندلسٍ . ووَشَحْتُ لها الأليافَ . وأعلنتُها . أسطورةَ ذهبيَّةٍ . وإذ أنا
ساجدٌ . لها أنحني . نَزَمَني قلمي . فَسَرَى منه المِدادُ . فَلَطَّخَ ثوبَها .
وراحَ الفنُّ . إلى الإلاه . مني يشتكي . ثم أرسل لأبي . رسالةً مطويَّةً . قد
خَطَّ فيها : إنَّ ابنَكَ راسبٌ .

أنا الحرف الطليقُ . أنا القصيدة الحرّى . أنا اللفظ والسحرُ . في
موكب الشعرِ . تألّقَ مولِدي . ثم ضاعت مُهجتي . فتأهَ نجمي .
تأوّهَ الشعرُ يوما . واشتكى . متوجّعا بحنينه . يذرف الدمعَ .
وللقصيد أنينهُ . كمهاجر . وكما الغريبِ . فالأشجانُ داعيةٌ . والنفس
تهفو إلى الأوطانِ . أوَاهُ يا قَدْرِي . إني أنا الشعرُ الذي . قد صار متيّمًا .
قد بات معذبًا . بلا إلفٍ ولا أملٍ . من ذا الذي بعد اليوم يقولني .
رحماك يا قائلِي . فأنا اليتيمُ . منذ تركتني . وأنا الكسيرُ . يوم ضاع
القلمُ .

رَبْعٌ

جَرَبْتُ دَهْرًا فِي السَّاحَةِ حُطَوْتِي . وَنَزَلْتُ قَاعَ الْبَحْرِ . كَمَحْتَرَفٍ
لِلصَّيْدِ . كَمَا الْغَوَاصِ . يَكْاشِفُ الْمُرْجَانَ وَهُوَ أَلْفُهُ . يَدَاعِبُ
الْأَصْدَافَ وَهِيَ خَصِيمَةٌ . ضَغَطْتُ عَلَى الْأَنْفَاسِ . وَلَذْتُ بِالْأَعْمَاقِ
مَنَادِيًا . مِنْ بَحْرِ إِلَى نَهَرٍ . فِي لُجَجِ الْأَلْفَازِ . وَهِيَ عَنِيدَةٌ . وَصَحْتُ فِي
دَاخِلِي . هَذَا هُوَ النَّهْرُ الْمُحِيطُ . وَفِيهَا أَنَا بَيْنَ يَأْسٍ وَيَقْظَةٍ . إِذَا بِالْفَيْضِ .
فَيْضُ السَّاءِ . يَجُودُ وَيَسْخُو . تَهَاوَلَتِ الْأَصْدَافُ . وَجَاءَتْ مَحَارَةٌ . مِنْ
بَاطِنِ الْأَلْفَازِ . كُلُّ لَوْةٍ الْيَاقُوتِ . لَوْنُهَا لَا يَوْصَفُ . أَلْمَاسَةٌ فِي الْمَاءِ .
كَخَاتَمِ الشَّمْسِ . مِنْ سَالَفِ الْأَعْمَاقِ . يَبْزُغُ . نَوْرُهَا . كَالْكُوكَبِ
السَّيَّارِ . يَعْرِفُهَا الْغَوَاصُ . فَيَنْسَى أَلَمًا . وَتَنْطَلِقُ الْأَنْفَاسُ . وَهُوَ بِمَائِهِ .
وَفَازَ بِالسَّبْقِ . فَازَ الَّذِي قَدْ طَوَى عُمُرًا . كَالْيَاسِ . صَامِتًا لَا يَكْشِفُ .
وَقَالَ . هَذَا هُوَ الْوَجْدُ . هَذَا هُوَ اللَّفْظُ . فَلَنْ أُنْسَاكَ يَا قَلَمِي . وَخَطَّ لَفْظًا .
وَصَاغَ حَرْفًا . وَرَاحَ يَنْظُمُ الْمَشُورَ . وَمِنْ أَعْمَاقِ بَحْرِ خَالِدٍ . يَسْتَخْرِجُ
الْأَوْزَانَ . وَأَصْبَحَ صَائِغًا . يَسُوِّي الْقَلَائِدَ . لِيَزِينَ بِهَا . جِيدًا بِحَسَنِهِ
ظَالِمًا . مَقَاتِنُهُ الْوَجَنَاتُ . إِذَا رَمَتْ بِاللَّحْظِ . أَصَابَتْ قِيَصَرًا . وَلَمَّا

استوى الماء . وجاء محارهُ . قال قائلهم . درسُ السباحة . أبدا لا ينتهي .
عليك بالغوص . ألقا وألقا . فلست بياهر . ولست بصائع . لا يهزمُ
المرء إلا لسانهُ . ونادى المنادي . أيا أيها الطفل . في الدهر . وفي النهر .
ومن جديد . إنك راسبٌ .

رحماك يا أبتى . أوصيتني . وأنسيتُ وصيتك . فقد قلت يوما .
الحبُّ كالشعر . والشعر من فتنة الألفاظ . والكلمات . إذا تعرّى سرُّها .
زجاجةٌ تنكسرُ . فالآن عرفتُها . والآن فات أوانها . فسأفشي سرَّها .
وأقولُها . لكلِّ طفلٍ باسمٍ . لكلِّ فتىٍ ناظمٍ . لكلِّ كهلٍ ناشرٍ .
سأقولُها . وأقولُ بعدها . رحماك يا أبتى . إن ابنك راسبٌ .

وفي ليلة . من ليالي القدر . قد دعا لي ملكٌ بدعوة الخير . أنى
جئتُها . فاستجاب القدرُ . فألفَ حمدَ يومها . بلَغْتُ ذرىَ المجدِ قولاً
وفتنةً . وأقسمتُ للشعرِ . لن أنساك يا قسَمي . وجئتُ القصيدةَ . ساعيا
ومدبراً . وكان لي في الإيقاعِ مَوجدةٌ . واجتَزْتُ في ليلٍ . وبى أملٌ .
اختبارَ الوزن . وتلافيفِ المنى . وأذاعَ الشعرُ عني سرَّهُ . قد خيبَ
الظنُّ . فليس بناجحٍ . فيا أيها الشعر الرحيمُ . مغفرةً . وسماحةً . فاقبلُ من
فتى تائه . بوحاً جديداً . يقول . ويهمسُ . ساحوني . فلستُ بشاعرٍ .
ثم هاكُمَ قولهُ . سرّاً دفيناً . طالما يتكرّر . سأظلُّ ما حييتُ على الوفاء .
للصورة المثلَى . لألفَ ذكر . سأظلُّ بعد اليوم . كعَبْدٍ . عاشقٍ للضّادِ .

معشوقه الحرفُ . وهو طائعهُ .

وأقبلتُ على الدرس متبهاً . طالباً حذقَ السباحة . مجتهداً .
ومعاوداً . وبى في الفلاحِ أُمْنِيَّةٌ . أنْ أُنْبِثَ . إلى عالمِ الأرواحِ . برقيَّةً .
أقول فيها . رحماك يا أبتى . فطفلك ناجحٌ . ونزلتُ قاعَ النهرِ مجدداً .
أفتشُ في المحارِ . كاشفاً سرَّ اللآلي . فإذا أنا . كسعيدٍ الحظِ أُمسكها .
جوهرةً . أَلَمَاسَةً . نُورِيَّةً . أداعبُ الأصدافَ من حولها . وأومئُ لها
باللَّحْظِ . كفارسٍ في الغوصِ ليس يهابه . إذا بزلزالٍ . يَهْدُ الكونَ . كونَ
لآلئِي . فَقُنْبَلَةٌ قد انفجرتُ . من بقايا الحربِ . مزقتُ أوصالَ طفلٍ
حالمٍ . بددتُ أشلاءهُ . وفرقتُ في الشعرِ شَظِيَّةً . فتاهَ الوزنُ .
وضاعَ القلمُ .

هل تُبْعَثُ الأرواحُ بعدَ ضياعِهَا . هل تُولَدُ الألفاظُ بعدَ مماتِهَا .
هل تَحْمِلُ الأرحامُ بعدَ سُباتِهَا . كيف السَّيْلُ إلى عَصَا سحريَّةٍ . تحوِّلُ
الألفاظَ زهراً . تغيِّرُ الألحانَ مِنْ شَوْمٍ وَمِنْ نَحْسٍ . فيأتي طالعُ اليُمْنِ .
وتأتي انبركاتُ . والعرافُ . والتلاواتُ . وعطرُ المكرُماتِ . وتهاليلُ
الليلِ . وتساييحُ الضُّحَى . وآيةُ الكرسيِّ . وسدرةُ المنتهى . والحزبُ
اللَّطيفُ . والأختامُ أدعيةٌ . والنَّفَاثاتُ في العُقَدِ . راحتُ تَضِيعُ . وزال
الإفكُ . وانبلجتُ . أشعةُ النورِ . وعندصباحِ الديكِ . عند السَّحَرِ . صاح
مؤذني . هذا هو الفجرُ . وبعدَ الفجرِ . صبحٌ جديدٌ .

نسخ

قلتُ مَقَاتِحًا . هل تأذنين لي . أيا لغتي . أن أَخَذَ مِنْكَ إِجَازَةً . وأن
أُبَحِّرَ فِي مِيطِ الْوَرَاثَةِ . حيثُ الْهِنْدَسَةُ الْجَدِيدَةُ . حتَّى أَتَقَنَّ حَدِيثَ
الْإِسْتِنْسَاخِ . أَنتَقِي مِنْكَ الْحَيَامِلَ . وَالْجِنَاتِ . وَأَتَبِتُ الْخَلَايَا فِي أَنْيَابِ
الْمَخَابِرِ فَيَسْأَلُنِي عَلَيْكَ رِمُّ النِّسْيَانِ . يَوْمَ افْتِقَادِ الذَّاكِرَةِ . وَعِنْدَهَا
سَأَبْعُثُ الْمَلَأَقِحَ . مِنْ سَائِلَاتِهَا . وَسَأُفْخِ فِيهَا حَرَارَةً . بِمَدِّ الْجَمَادِ .
رِسَاءً تَنْسِخُ مِنْ كَلِمَاتِكَ الْكَلِمَاتِ . وَسَأُؤَلِّدُ مِنْ صُورِكَ الصُّورَ . فَإِنِّي
أُخَافُ عَلَيْكَ . بَتَّ أَنَا أَخَافُ عَلَيْكَ . مِنْ نَفْسِكَ . أَنَا أَخَافُ عَلَيْكَ . عَلَى
نَفْسِكَ أَنَا وَأَنْتِ نَخَافُ عَلَيْكَ .

قالت .

هناك من بعيد . على فراش الذكريات . بين فُحُوصٍ وكُشُوفٍ .
واستوى البقاء . ومقادير الرحيل . مسكتُ بِنَفْسِي . فوجدتُ العزمَ
حَدِيدًا . فَتَحْتُ نِزَاطِي . وَحَدَقْتُ فِي الْوُجُودِ . فَرَأَيْتُ مَسَافَاتٍ
تَقَارَبَتْ . فَاخْتَسَزَلْتُهَا . وَاعْتَصَرْتُ رَحِيقَهَا . جَمْرَةٌ بَيْنَ نَارَيْنِ . يَوْمَ
نَطَقْتُ . يَوْمَ أَحْبَبْتُ لُغَتِي . يَوْمَ خَلْتُ أَنَّ الْحُبَّ قَدْ وُئِدَ . لَيْلَةً . بُعِثَ

الوليدُ جديداً .

أَجَبْتُ . ثم طَلَبْتُ قَلَمًا . وصَحِيفَةً . ولم يمنعوني . فأنثال لفظٌ . دَمًا
قَرَا حَا . كأنه الأسي . تتقاطر مقلتي . بدأتُ . وماكنت أعلمُ أين سأنتهي .

طلبتُ الرحيلَ .

فحضرَ تَنِي .

طلبتُ الشهادةَ .

فحضرَ تَنِي .

سألتُ نفسي . اليومَ أَحَبَبْتُ الحَيَاةَ . أَحَبَبْتُ سُوالفَ الأزمان .

همستُ بِأَسْمَا .

يَا لُغَتِي . يَا أَسِرَهُ . مُسْتَبَدَّ طَيْفُكَ . فِي الرُّكْنِ . فِي الْبَيْتِ . طَيْفُكَ .

على الورق وبين السطورِ وفي المحافظ . طَيْفُكَ . فِي السُّوقِ . وعلى المآذِنِ .

فِي الرُّبَى . وعلى الشوْطَىء . يلاحقني . طَيْفُكَ . أُمْسِكِيهِ وَرَوْضِي عَنَادَهُ .

فَالطَّيْفُ طَيْفُكَ . إِذَا غَضِبْتُ . فَهُوَ يَتَسَمُّ . طَيْفُكَ . وَإِذَا انْشَرَحْتُ .

تَقَطَّبَتْ أَهْدَابُهُ . طَيْفُكَ . أُمْسِكِيهِ سَاعَةً . أَوْ بَعْضَ وَقْتٍ . إِنِّي أَسْوِي

أَغْنِيَّةً . وَأَهْدِيكَ لَحْنًا . شَادِيًا . كَلِمَاتُهُ . الطَّيْفُ طَيْفُكَ .

قالت .

هل جلستَ يوماً على الضِّفَافِ بَعْدَ الْغُرُوبِ وَ الْأَضْوَاءُ تُتَسَلَّلُ بَيْنَ

حُجُبِ الظَّلامِ تَحْتَرِقِ الضُّبَابُ لِتَسْتَقَرَّ عَلَى صَفَائِحِ الْمَاءِ وَهِيَ هَادِئَةٌ لَا

يداعبُها إلا هفيفُ النسيمِ ترتعشُ له ارتعاشةُ قلبِ الحبيبِ ينادي
بِخَفَقَانِهِ أَنَا مَلِ الطِّيفِ الْقَصِيِّ أَنِ ارْسُمِ بِرِيشَةِ الْفَنِّ لَوْحَةَ الْغَزَلِ عَلَى
صَدْرِي فِيهَا الْمَرَائِبُ تُتَخَالُّ عَلَى الْمَاءِ رَاقِصَةٌ بِشِرَاعِهَا الْأَبْيَضِ الْفَتَّانِ
كَأَنَّهُ ينادي شاهقاتِ المَبَانِي :

بوركتِ يَا لُغَتِي .

هَاءُ السَّكْتِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْمَرْأَةِ
تُقَدِّمُ الْجَسَدَ قُرْبَانًا إِلَى الْحَبِّ
يَنْصَطِلِي بِنَارِ النَّدَمِ.

أَيْتَهَا اللَّغَةُ . تَمَنِّعِي . أَهْلًا بِكَ . تَمَرِّدِي . اغْرِفِي مِنْ بَحُورِ الزَّهْوِ .
أَهْلًا بِكَ . امْكُرِي . أَمْعِنِي كَيْدًا . غِيْظِيْنِي وَرَاوَعِي . اِطْعِنِي الظَّهْرَ بِسَبَالِ
الشَّعْرِ . فَسِهَامُ اللَّفْظِ حِمِيْمَةٌ . وَتَفَنَّنِي . اعْزِفِي عَلَى نَبْضِ الْقُلُوبِ . ثُمَّ
كُونِي . فَاتِنَةً . خَائِنَةً . فَأَهْلًا بِكَ . شَيْئًا وَاحِدًا . لَا تَفْعَلِيهِ . فَلِلدَّلَالَةِ
حُرْمَةٌ . وَلِلْمَدَارِكِ سُلْطَةٌ . لِلْعَقْلِ كَمَا لِلْحَبِّ . جَلَالٌ وَمَهَابَةٌ . لَا
تَتَنَاقِضِي . لَا تَتَرَدَّدِي . لَا تَجَامَلِي مِنْ صَانِعُوكِ . قَدْ شَوَّهُوكِ . حِينَ صَرَّتِ
كَدُمِيَّةً . تُسَوِّى بِكَ الصِّفَقَاتِ . كَمَا حَدَى اللَّهَجَاتِ . تَدْحَرَجْتَ مِنْ سَمَاءِ
النُّبْلِ . حَيْثُ وَضَعْتُكَ . تَمَرَّغْتَ فِي الْأَوْحَالِ فِي الطَّيْنِ الْمُبْلَلِ .
فَتَدَنَسْتَ . أَزْهَارُ تَاجِكَ . لَا تَتَنَاقِضِي . قَسَمًا بِكَ . يَوْمَ كُنْتَ فَصِيحَةً .
نَاصِعَةً أَبْيَاضٍ . مَحْجُوبَةً . قَسَمًا بِالشَّعْرِ . بَايَاتِ النُّهْيِ . بِالْكَلِمَاتِ . لَوْ

جئت القطيعة ما نَقَمْتُ عليك . خيانةُ المعنى كَهَجْرَانِ حُبٍّ . قدرةٌ
وشجاعةٌ . وتناقضُ الأهواءِ مَذَلَّةٌ ومَهَانَةٌ . لا تتناقضي . بِرَبِّ الشَّعْرِ .
لا تتملّقي . أسماءُ الأضدادِ لَعِينَةٌ . والسُّهَى . حَقْلٌ مِنَ الْأَنْغَامِ . لا
تتفكّكي . لا تتمزّقي . فلا أَهْلًا قَدِمْتُ . لا تتناقضي . ولا سهلاً حَلَلْتُ .
لا تَتَوَرَّطِي . جَسَدُكَ الْمَسْكِينُ . بينَ يومٍ و ليلةٍ . وهبته في الدُّجَى .
هديةٌ مفضوحةٌ . لِلَّيْلِ السَّعِيدِ . وعندَ الضُّحَى . وهبتِ الخليلَ
فُتَاتَهُ . منهوكِ القُوَى . فاتَرَ الْأَشْلَاءِ . قد خَبَّتْ أَوْهَاجُهُ . قَدَمَتِهِ . كَبْشِ
الْفِدَاءِ . لَوْجَدَ وَاهِمٍ . كَقَصِيدَةِ الزَّيْفِ . في بَدْءِ اللَّقَاءِ . كَمَادِحِ
السُّلْطَانِ . يُمَجِّدُ الْفُضْحَى . عَلَى مِنْبَرِ الْأَشْعَارِ . وهو مُرَاوِعٌ .
دَيْدَنُهُ التَّلْهِيجُ . بلا خَجَلٍ . يُسَكِّنُ الْحَرَكَاتِ . صَفِيقَ الْحَيَاءِ .
كَغَضْبَةِ الْأَقْدَارِ . على فَلَنَةِ الْأَكْبَادِ .
أَيْتِهَا اللَّغَةُ .

أَيْتِهَا الْفُضْحَى .

لَا تَنْسَيَ وَصِيَّتِي .

تَجُوعُ الْحُرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بُدْيَيْهَا .

تَفْنَى الْأَبْيَةُ وَلَا تُضَحِّي بِحُبِّهَا .

قَافِيَةٌ

هَآ أَنِّي
وَفِي الْبَدءِ مَا رُمْتُ إِلَّا تَرْوِيضَ لِسَانِي
قَدْ رَوَّضْتُ قُلُوبِي وَجَنَانِي
هَآ أَنَا مَحَبَّ عَاشِقٍ
هَآ أَنَا مُفْتُونٌ بِضَآدِي وَلِسَانِي
إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي الْأَسِيرُ
وَأَسْرِي كَلِمَاتِي
بِحَبِّ
قَدْ دَخَلْتُ إِلَيْكَ
وَبَشْرَفِ
أَوْدَعُكَ
فَلَنْ أَعُودَ
أَيْتَهَا الْقَافِيَةُ، أَيْتَهَا الْقَصِيدَةُ، قَسَمًا بِالشَّعْرِ :
لَأَنْتَ
طَالَقٌ
طَالَقٌ
طَالَقٌ .

المؤلف

الأسلوبية و الأسلوب :

- الدار العربية للكتاب ، تونس ط 1 : 1977 ، ط 2 : 1982 ، ط 3 : 1988
- دار الصباح ، القاهرة - الكويت ، ط 4 : 1993

التفكير اللساني في الحضارة العربية :

- الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط 1 . 1981 ، ط 2 : 1986

قراءات مع الشبابي و المتنبي والجاحظ وابن خلدون

- الشركة التونسية للتوزيع ، ط 1 : 1981 ، ط 2 : 1984 ، ط 3 : 1989
- دار الصباح ، القاهرة - الكويت ، ط 4 : 1993 .

النقد و الحداثة :

- دار الطليعة ، بيروت ، ط 1 : 1983
- دار أمية ، تونس ، ط 2 : 1989

قاموس اللسانيات (عربي فرنسي - فرنسي عربي) مع مقدمة في علم المصطلح

- الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1984

اللسانيات من خلال النصوص

- الدار التونسية للنشر ، ط 1 : 1984 ، ط 2 : 1986

الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية

- الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1985

(بمعية د . محمد الهادي الطرابلسي)

اللسانيات وأسسها المعرفية

- الدار التونسية للنشر ، 1986

النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص

-الدار التونسية للنشر ، 1988

(بمعية د. عبد القادر المهيري ود. حمادي صمود)

مراجع اللسانيات

-الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1989

مراجع النقد الحديث

-الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1989

قضية البنيوية : دراسة ونماذج

- ط 1 : دار أمية ، تونس ، 1991

- ط 2 : دار الجنوب ، تونس ، 1995

قضايا في العلم اللغوي

-الدار التونسية للنشر ، 1994

مساءلات في الأدب واللغة

- مؤسسة اليامة ، الرياض ، 1994

المصطلح النقدي

- مؤسسات بنعبد الله ، تونس ، 1994

في آليات النقد الأدبي

- دار الجنوب ، تونس ، 1994

أبو القاسم الشابي في ميزان النقد الحديث

- مؤسسات بنعبد الله ، تونس ، 1996

مباحث تأسيسية في اللسانيات

- مؤسسات بنعبد الله ، تونس ، 1997

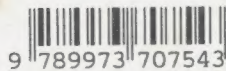
تمّ طبع هذا الكتاب
بمطبعة كوتيب تونس الشرقية
مارس ١٩٩٨

أيتها اللغة هل تَأْذِنِينَ بِإِفْشاءِ سرٍّ من أسرارِكَ :

يومًا رَكَبْتُ بِكَ قولا فانساق بي الطَّيْشُ بالألفاظ فلم أدر ما
كنتُ أُنْصِيهِ ، وأمَنتُ . فتزَيَّنتُ صورةً ولم أفهم لها معنًى . رَدَدْتُ
القول فاستطَبَّئْتُهُ . وعادوتُ فانشال لي فيض من الدلالات .
وأشعْتُ . فَقبِلُوا واستراحوا . ثم سلكوا في النَّشوة كلَّ مسلك .
فأغراني عِبْتُ الوليد . فَظَلَّتْ معي زمنا . وأردتُ توبةً واستغفرتُ
لديكَ وَهَمَمْتُ أَنْ أعلن الذَّنْبَ وَأَنْ أَصْعَدَ على منبر الاعترافِ
أُطْهَرُ النفس من أعلاقتها وأغسل بالبوح إثما ظلمتُكَ به . وأنا بين
عزمٍ وانثناءٍ سمعتُكَ وسمعتُ مَنْ حَوْلَكَ تُهَاتِفِينَ
ويُهَاتِفُونَ :

ليس من عبثٍ ما صنعتَ ، إنما العبث ما ستصنع ، فلا تكابرُ .
فلقد نَطَقْتُ على لسانكَ اللغةُ أُرسلتُ إليك واحدا من جنودها
وهم نَقَرٌ من الجنِّ قالوا آمنا فما هم بملحدين ، فلا تستعذُ
بالله من طيفِ أَلَمٍ بِكَ .

ومن يومها تزَيَّنتُ لي فتنةُ الكَلِمَاتِ .



9 789973 707543